الضوابط الشرعية
للتعامل
مع
القضايا اليومية

تأليف

د. هيثم بن محمد بن حمدان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ أبو داود الدمياطي

حفظه الله

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

الضوابط الشرعية

للتعامل

مع

القضايا اليومية

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم علي مستوي الأفراد للاستفادة الشخصية والدعوية ، أما دور النشر فينوجب عليها الحصول علي إذن كتابي من المؤلف قبل طباعة الكتاب ونشره.

أبو البراء الدمياطي هيثم بن محمد بن حمدان

haythamhemdan164@yahoo.com

إهداء

إلي كل من يريد أن يعيش بالقرآن والسنة..

إلي كل من يريد أن يستمتع بسماحة الإسلام بعيدًا عن التشدد والغلو

إلي كل من يريد أن يميز بين ألأخبار الصحيحة والأخبار الكاذبة..

إلي كل من يبحث عن السعادة الزوجية..

أهدي هذا الكتاب : الضوابط الشرعية للتعامل مع القضايا اليومية

د.هيثم بن محمد بن حمدان

تقديم

فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي

الحمد لله وكفي والصلاة والسلام علي عباده الذين اصطفي أما بعد :

فقد اطلعت علي كتاب " الضوابط الشرعية للتعامل مع القضايا اليومية " لأخينا الفاضل أبي البراء الدكتور/ هيثم بن محمد بن حمدان فوجدته نافعًا مفيدًا في بابه قد بذل فيه جهدًا مشكورًا فأسأل الله أن يبارك في المؤلف وكتابه ، وأن يعينه علي المواصلة في طلب العلم والتحصيل والبذل والتصنيف ، وأن يعيذه من الفتن ما ظهر منها وما بطن وصلي الله وسلم علي محمد وآله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب الفقير لعفو ربه

أبو داود يحيي بن مسعد بن أحمد آل حزه الدمياطي

في يوم الأربعاء الموافق ٩ جمادي الآخرة ١٤٣٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " [آل عمران:١٠٢]

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [النساء:١]

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)" [الأحزاب ٧١:٧٠]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فكثيرة هي آلام الأمة الإسلامية في العصر الحالي .. كثيرة هي جراح الأمة التي تنزف دماً من كل جزء في جسدها .

كثيرون هم أعداء الأمة ، وهم لا يتوقفون عن تسديد الضربة تلو الأخرى لها ، لم يرحموا منها طفلاً ولا شيخاً ولا امرأةً ، ولم يألوا جهداً – ولو للحظة واحدة – عن الكيد لها ، والعمل علي تمزيقها وتفتيتها.

فما الحل إذن يا بني الإسلام ؟!

هل سنقف مكتوفي الأيدي إزاء كل هذه الضربات والمؤامرات ؟!

هل نمصمص الشفاه ونسكب العبرات ؟!

أم ننطلق ونحشد الناس في المظاهرات ؟!

لا يا بني الإسلام ، ليس هذا هو السبيل .

سبيل النجاة .. سبيل النجاح .. سبيل الفلاح هو العودة إلي ديننا .. هو العودة إلي إسلامنا .. هو العودة إلي كتاب ربنا وسنة نبينا صلي الله عليه وسلم .

أسمع أصواتاً تقول : وهل كفرنا حتى تعيدنا أنت إلي الإسلام ؟!!

أقول : معاذ الله أن أكفركم ، ولكن قولوا لي بالله عليكم ، هل الإسلام الذي أنتم عليه الآن هو الإسلام الذي يرضي الله عز وجل ؟! أهو الإسلام الذي علمنا إياه رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟!

أكاد أن أري بعين الخيال وجوهكم ترتسم عليها علامات التعجب والاستنكار ، ولذا أسألكم بشكل أكثر وضوحاً وأرجو أن تكونوا صادقين مع أنفسكم :

هل صليتم الفجر اليوم في موعده قبل شروق الشمس أم قضيتموه – كالعادة – في السابعة أو الثامنة صباحاَ ؟

هل أديتم زكاة أموالكم ؟ هل غضضتم أبصاركم عن الحرام ؟

هل كفت ألسنتكم عن الغيبة والنميمة ؟

هل التزمتم أحكام الشرع في الزيارات العائلية ؟

هل أغلقتم متاجركم للذهاب لأداء صلاة الجماعة في المسجد ؟

هل امتنعتم عن التعامل مع البنوك الربوية ؟

هل امتنعتم عن الاستماع إلي الموسيقي والغناء ؟

هل امتنعتم عن مشاهدة المسلسلات والأفلام والمسرحيات ؟

هل تركتم التدخين طاعة لله جل وعلا ؟

وأنت يا أختاه ، لماذا تضيعين معظم أوقاتك أمام المرآة ؟ لماذا تلبسين هذا البنطلون الفاضح ؟

استري نفسك يا أختاه ، لا تجعلي جسدك وليمةً لعيون اللئام !! لا تعيشي متخبطةً في الظلام ، لا تجعلي قلبك مأوي للشيطان.

هيا انهضي واقرأي ، وتعلمي ما أمرك الله به من أحكام .

وأنت يا أخي ، لمَ جلست علي المقهى يتصاعد من أنفك الدخان ؟!

ولمَ تضيع وقتك في لعب الطاولة والشطرنج والسلم والثعبان؟!

هل ترضي بحياة الذل التي يعيشها المسلمون في كل مكان ؟!

أكاد أتخيل أصواتاً تصرخ : كفي ، حرمت علينا عيشنا وكدرت صفونا .

أقول : لا تغضبوا مني يا إخواني ، فو الله ما قلت لكم هذا القول إلا لأنني أحب لكم الخير كما أحبه لنفسي ، وأسأل الله أن يتجاوز عني وعنكم وأن يرزقنا جميعاً الفردوس الأعلى من الجنة .

إخواني الأعزاء ، أقسم بالله علي أن أي حل لمشاكلنا وقضايانا بعيداً عن الإسلام سيبوء بالفشل الذريع .

فهيا بنا نعود إلي الإسلام نواجه به مشاكلنا : في التربية .. في التعليم .. في الاقتصاد .. في السياسة .. في الإعلام .. في كل شئ .

قال تعالي : " قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ " [الأنعام : ١٦٢]

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَّ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "

التفسير : يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق، وأطيعوا

ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلا.

وأؤكد لكم يا إخواني ، الإسلام منصور – بفضل الله – لا محالة بنا أو بغيرنا .

ألم تسمعوا الحديث الذي رواه مسلم عن ثوبان – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

" إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها "

زوي: جمع وضم

– وروي أحمد والحاكم وصححه علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تحقيق المشكاة عن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " لا يبقي علي ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل ، إما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها ، أو يذلهم فيدينون لها "

المدر: القرى و الأمصار ، الوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوها يعني أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر

- وروي أحمد وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط عن حذيفة –رضي الله عنه – قال:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ " ثُمَّ سَكَتَ

فالخلافة علي منهاج النبوة آتية آتية – بفضل الله تبارك وتعالي – شاء من شاء وأبي من أبي ، فهيا بنا يا بني الإسلام .. هيا فلنعمل سوياً علي إحياء العمل بالقرآن والسنة في كل جزئية من حياتنا صغيرةً كانت أو كبيرةً عسي الله أن يستعملنا ولا يستبدلنا.

قال تعالي " وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " [محمد : ٣٨]

التفسير : وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره يهلكُّم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

كلنا – بلا استثناء – يواجه في حياته الكثير من القضايا ، وبعضنا يقف أمامها متحيرًا لا يدري أين السبيل ؟ وما هي الأساليب المثلي للتعامل مع هذه القضايا ؟

أقول لإخواني : هدءوا من روعكم ، فما من قضية إلا ولها في الإسلام ضوابط للتعامل معها علي أسس واضحة جلية تنير الطريق وتوجه الحيران وتطمئن الخائف وتهدي الضال .

وهذا الكتاب محاولة – أرجو من الله أن تكون موفقة – لإلقاء الضوء علي الضوابط الشرعية للتعامل مع بعض القضايا اليومية وهي:

(١) قضية التعامل مع النصوص الشرعية

(٢) قضية اعتقاد بعض الناس أن التمسك بالسنة من قبيل التشدد.

(٣) قضية التعامل مع الشائعات.

(٤)قضية الاختلاط.

(٥) قضية الخلافات الزوجية.

وهذه القضايا قد انتشرت وأصبحت تشغل حيزًا كبيرًا جدًا من اهتمامات مجتمع المسلمين ، أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، والله الموفق وهو الهادي إلي سواء السبيل .

كتبه

الراجي رحمة ربه

أبو البراء هيثم بن محمد بن حمدان

الفصل الأول

قضية التعامل مع النصوص الشرعية

بعد غزوة غربية شاملة حقيرة غزت القلوب والعقول بوابل من الأفكار الهدامة والثقافة الهابطة – ولا تزال هذه الغزوة مستمرة حتى هذه اللحظة – تعيش الأمة الإسلامية – إلا من رحم الله – حالةً غريبة – لم يسبق لها مثيل عبر تاريخها الطويل – من الإعراض عن نصوص الكتاب والسنة تارةً بسبب الجهل وتارةً بسبب اتباع الهوى والغرق في بحار الشهوات وتارةً لأجل دراهم معدودة ودنيا فانية يلهث وراءها ضعاف النفوس من بني جلدتنا وينفذون في مقابلها كل ما يطلبه سادتهم الغربيين – وربما أكثر – من إغواء لعامة المسلمين وصدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلي الله عليه وسلم ؛ روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» ،

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» ، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»

والغزو الفكري أخطر من الغزو العسكري؛لأن الغزو الفكري يتجه إلى السرية وسلوك المسالك الخفية في بادئ الأمر فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه. وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمرا صعبا وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً.

والغريب في الأمر أن القوم لم يستخفوا بما يضمرون للمسلمين من عداءٍ وكيدٍ بل صرحوا بأوضح عبارة ممكنة أن هدفهم الأساسي اقتلاع المسلمين من جذورهم بتشكيكهم في عقيدتهم والعبث بعقولهم وقلوبهم حتى صار كثير من المسلمين مجرد ظلال وأشباح تعيش نمط الحياة الغربية بكل ما فيها من رذائل وآفات ولا يربطهم بإسلامهم في بعض الأحيان إلا الاسم أو إن شئتَ فقل بعض الشعائر التعبدية التي يمارسونها في بعض المناسبات.

* قال صموئيل زويمر – رئيس جمعيات التنصير – في مؤتمر القدس للمنصرين سنة ١٩٣٥ م: " إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإن جمع المال للشهوات وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات.. إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه ".

وقال أيضًا: " مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل لهم الالتحاق بهذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب ".

* وقال المنصر تكلي: " يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية "

* قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر: " إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم."

* قال المنصر وليم جيفور بالكراف : "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذٍ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه."

* يقول المنصر لورنس براون: "إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي".

* قال اللورد لويد (المندوب السامي البريطاني في مصر) - حينما افتتح كلية فيكتوريا بالإسكندرية لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية-سنة ١٩٣٦م:

"كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ".

* يقول الأسقف «دي ميستيل» وكيل إدارة البعثات التنصيرية في الشرق بروما بصراحة:" إنّ الهدف الذي يتعيّن على المبشّر تحقيقه هو تحطيم قوة التماسك الجبارة التي يتمتع بها الإسلام، أو على الأقل إضعاف هذه القوة. وإنّ على المبشّر أن يدرس ويتفهّم

قرآن محمد ليعرف كيف يذكّر الناس في الشرق بأنّه كانت هناك مدنيّة سابقة على الهجرة، وأنّها كانت مدنيّة مسيحية ."

وأقوال القوم في هذا الأمر كثيرة وأفعالهم أكثر وما تخفي صدورهم أكبر- ولكن مَن يقرأ ومَن يتدبر؟!!- ولذلك نهى الله عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى ؛ قال تعالى:"لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ "[آل عمران: ٢٨]

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله – في تفسير هذه الآية : نَهَى اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَالُوا الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسِرُّون إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} أَيْ: مَنْ يَرْتَكِبُ نَهْيَ اللَّهِ فِي هَذَا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ كَمَا قَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} [النِّسَاءِ:١٤٤] وَقَالَ تَعَالَى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الْمَائِدَةِ: ٥١] .

وَقَالَ تَعَالَى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} إِلَى أَنْ قَالَ: {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الْمُمْتَحِنَةِ: ١]

لكن كثيرًا من المسلمين - إلا من رحم الله – اتخذوا كتاب ربهم وسنة نبيهم صلي الله عليه وسلم وراءهم ظهريًا لا يأتمرون بهما ولا ينتهون بنهيهما بل إنهم اتبعوا سنن اليهود

والنصارى شبرًا بشبر وذراعًا بذراع كما أخبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في شرح هذا الحديث:[(سنن) السنن هو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم ، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر.]

وقد أصبحت مظاهر الإعراض عن الكتاب والسنة واضحةً جليةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

مظاهر الإعراض عن الكتاب والسنة في الأمة الإسلامية

(١) التساهل في ارتكاب المحرمات كاستماع الموسيقى وتبرج النساء والتدخين مع الإصرار على ذلك اعتماداً على سعة عفو الله ومغفرته وما درى هؤلاء أن الإصرار على المعصية قد يسلب الإنسان التوحيد عند الموت.

قال عبد العزيز بن أبي رواد – رحمه الله –: حضرت رجلاً عند الموت يلقن لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر فكان عبد العزيز يقول: " اتقوا الذنوب، فإنها هي التي أوقعته ".

وكثرة الوقوع في المعصية يؤدي إلى تحولها عادة مألوفة ثم يزول قبحها من القلب تدريجياً حتى يقع العاصي في المجاهرة بها ويدخل في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهَّ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهَّ عَنْهُ "

(٢) الشعور بقسوة القلب وخشونته : حتى ليحس الإنسان أن قلبه قد انقلب حجراً صلداً لا يترشح منه شيء ولا يتأثر بشيء ، والله جل وعلا يقول : " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً " [البقرة :٧٤] ، وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات ولا الجنائز ، وربما حمل الجنازة بنفسه وواراها التراب ، ولكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار .

(٣) عدم إتقان العبادات : ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها ، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار ، فيقرؤها بطريقة رتيبة مملة هذا إذا حافظ عليها ، ولو اعتاد أن يدعو بدعاء معين في وقت معين أتت به السنة فإنه لا يفكر في معاني هذا الدعاء والله سبحانه وتعالى : "لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ "رواه الترمذي وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة [حديث رقم :٥٩٤]

(٤) التكاسل عن الطاعات والعبادات ، وإضاعتها ، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها ، وقد وصف الله عز وجل المنافقين بقوله: "وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى " [النساء :١٤٢] . ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر، فقد يؤخر الحج وهو قادر ، ويتأخر عن صلاة الجماعة ثم عن صلاة الجمعة ، ومثل هذا لا يشعر بتأنيب الضمير إذا نام عن الصلاة المكتوبة ، وكذا لو فاتته سنة راتبة أو وِرْد من أوراده فإنه لا يرغب في قضائه ولا تعويض ما فاته ، وكذا يتعمد تفويت كل ما هو سنة أو من فروض الكفاية ، فربما لا يشهد صلاة العيد (مع قول بعض أهل العلم بوجوب شهودها) ولا يصلي الكسوف والخسوف ، ولا يهتم بحضور الجنازة ولا الصلاة عليها ، فهو راغب عن الأجر ، مستغن عنه على النقيض ممن وصفهم الله بقوله : " إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ " [الأنبياء :٩٠] . ومن مظاهر التكاسل في الطاعات ، التكاسل عن فعل السنن الرواتب ، وقيام الليل ، والتبكير إلى المساجد وسائر النوافل فمثلاً صلاة الضحى لا تخطر له ببال فضلاً عن صلاة الاستخارة (٥)تقلب بعض الشباب والشابات في ظلمات من المعاصي بعضها فوق بعض فإذا نصحهم ناصح بالإقلاع عن هذه المعاصي والالتزام بطاعة الله أجابوا بأنهم ما زالوا صغاراً وما زال العمر طويلاً أمامهم للتوبة والعودة إلى الله وما درى هؤلاء أن الموت لا يفرق بين صغير وكبير، فهذه قصة أربعة من الشباب: كلما سمعوا ببلد يفعل فيها

الفجور طاروا إليها، فبينما هم في ليلة من الليالي، وفي ساعة متأخرة من الليل وهم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشياً عليه، فهرع إليه أصحابه الثلاثة فقال له أحدهم: يا أخي، قل لا إله إلا الله، فرد الشاب قائلاً: إليك عني، زدني كأس الخمر، وتعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى الله وهو على تلك الحالة السيئة، نسأل الله السلامة والعافية.ثم كان حال الثلاثة الآخرين، لما رأوا صاحبهم، وما آل إليه أمره أنهم أخذوا يبكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم، وعادوا به إلى بلاده، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه، فإذا عليه كدرة وسوادًا ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

(٦) ومن آثار الإعراض عن الكتاب والسنة : عدم التأثر بآيات القرآن ، لا بوعده ولا بوعيده ولا بأمره ولا نهيه ولا في وصفه للقيامة ، فضعيف الإيمان يمل من سماع القرآن ، ولا تطيق نفسه مواصلة قراءته فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه .

قال تعالي :" وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً"[الفرقان:٣٠]

قال تعالي :" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " [محمد : ٢٤]

(٧) ومنها : الغفلة عن الله عز وجل في ذكره ودعائه سبحانه وتعالى : فيثقل الذكر على الذاكر ، وإذا رفع يده للدعاء سرعان ما يقبضهما ويمضي وقد وصف الله المنافقين بقوله : "وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً " [النساء :١٤٢]

(٨) محبة الكفار ، واتخاذهم أصدقاء فما أغفل من يفعل ذلك عن قول الله تعالى :

" لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [المجادلة :٢٢]

(٩) ومن الأمور الخطيرة : عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل لأن لهب الغيرة في القلب قد انطفأ فتعطلت الجوارح عن الإنكار فلا يأمر صاحبه بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يتمعر وجهه قط في الله عز وجل ، والرسول صلى الله عليه وسلم يصف هذا القلب المصاب بالضعف بقوله في الحديث الصحيح : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها } أي : دخلت فيه دخولاً تاماً { نكت فيه نكتة سوداء } أي : نقط فيه نقطة { حتى يصل الأمر إلى أن يصبح كما أخبر عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث : (أسود مربادا { بياض يسير يخالطه السواد } كالكوز مجخياً { مائلاً منكوساً } لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه) رواه مسلم [حديث رقم: ١٤٤] . فهذا زال من قلبه حب المعروف وكراهية المنكر واستوت عنده الأمور فما الذي يدفعه إلى الأمر والنهي . بل إنه ربما سمع بالمنكر يعمل في الأرض فيرضى به فيكون عليه من الوزر مثل وزر فاعله كما ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ٦٨٩]

عَنِ الْعُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا عُمِلَتِ

الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا - وَقَالَ مَرَّةً: «أَنْكَرَهَا» - كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا "

فهذا الرضا منه وهو - عمل قلبي – أورثه منزلة الشاهد في الإثم

(١٠) حب الظهور وهذا له صور منها :

أ- الرغبة في الرئاسة والإمارة وعدم تقدير المسؤولية والخطر ، وهذا الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله : «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله مغلولا يده إلى عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة» رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ٥٧١٨]

ولو كان الأمر قياماً بالواجب وحملاً للمسؤولية في موضع لا يوجد من هو أفضل منه مع بذل الجهد والنصح والعدل كما فعل يوسف عليه السلام إذاً لقلنا أنعم وأكرم ، ولكن الأمر في كثير من الأحيان رغبة جامحة في الزعامة وتقدم على الأفضل وغمط أهل الحقوق حقوقهم واستئثار بمركز الأمر والنهي .

ب- محبة تصدر المجالس والاستئثار بالكلام وفرض الاستماع على الآخرين وأن يكون الأمر له ، وصدور المجالس هي المحاريب التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (اتقوا هذه المذابح - يعني المحاريب -) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ١٢٠]

ج- محبة أن يقوم له الناس إذا دخل عليهم لإشباع حب التعاظم في نفسه المريضة .

روى أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [حديث رقم :٣٥٧] عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»

ومثل هذا النوع من الناس يعتريه الغضب لو طبقت السنة فبدئ باليمين ، وإذا دخل مجلساً فلا يرضى إلا بأن يقوم أحدهم ليجلس هو رغم نهيه صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي رواه البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»

(١١) ومنها : الشح والبخل ولقد مدح الله الأنصار في كتابه فقال : " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ "[الحشر : ٩] وبين أن المفلحين هم الذين وقوا شح أنفسهم ؛ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم خطورة الشح وآثاره على النفس كما في الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم :٢٦٧٨] عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»

وأما البخل فإن صاحب الإيمان الضعيف لا يكاد يخرج شيئاً لله ولو دعا داعي الصدقة وظهرت فاقة إخوانه المسلمين وحلت بهم المصائب .

قال عز وجل : " هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " [محمد : ٣٨]

(١٢) ومنها : أن يقول الإنسان ما لا يفعل قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ{٢} كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ "[الصف :٢-٣] ولا شك أن من خالف قوله عمله صار مذموماً عند الله مكروهاً عند الخلق ، وأهل النار سيكتشفون حقيقة الذي يأمر بالمعروف في الدنيا ولا يأتيه ، وينهاهم عن المنكر ويأتيه .

روى مسلم عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ "

(١٣) السرور والغبطة بما يصيب إخوانه المسلمين من فشل أو خسارة أو مصيبة أو زوال نعمة ، فيشعر بالسرور لأن النعمة قد زالت ، ولأن الشيء الذي كان يتميز عليه غيره به قد زال عنه .

(١٤) النظر إلى الأمور من جهة وقوع الإثم فيها أو عدم وقوعه فقط وغض البصر عن فعل المكروه ، فبعض الناس عندما يريد أن يعمل عملاً من الأعمال لا يسأل عن أعمال البر وإنما يسأل : هل هذا العمل يصل إلى الإثم أم لا؟ هل هو حرام أم أنه مكروه فقط ؟ وهذه النفسية تؤدي إلى الوقوع في شرك الشبهات والمكروهات ، مما يؤدي إلى الوقوع في المحرمات يوماً ما ، فصاحبها ليس لديه مانع من ارتكاب عمل مكروه أو مشتبه فيه ما دام أنه ليس محرماً ، وهذا عين ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، بقوله : (من وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ..) الحديث في الصحيحين واللفظ لمسلم رقم ١٥٩٩ ، بل إن بعض الناس إذا استفتى في شيء وأخبر أنه محرم ، يسأل هل حرمته شديدة أو لا ؟! وما هو الإثم المترتب عليه ؟ فمثل هذا لا يكون لديه اهتمام بالابتعاد عن المنكر والسيئات بل عنده استعداد لارتكاب أول مراتب الحرام ، واستهانة بمحقرات الذنوب مما ينتج عنه الاجتراء على محارم الله ، وزوال الحواجز بينه وبين المعصية ؛ روى ابن ماجة رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ٥٠٢٨] عن ثوبان أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» .

فتجده يقع في المحرم دون تحفظ ولا تردد ، وهذا أسوأ من الذي يقع في الحرام بعد تردد وتحرج وكلا الشخصين على خطر ، ولكن الأول أسوأ من الثاني ، وهذا النوع من الناس يستسهل الذنوب نتيجة لضعف إيمانه ولا يرى أنه عمل شيئاً منكراً ولذلك يصف ابن مسعود رضي الله عنه حال المؤمن وحال المنافق بقوله «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. رواه البخاري

(١٥) عدم الاهتمام بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها بدعاء ولا صدقة ولا إعانة ، فهو بارد الإحساس تجاه ما يصيب إخوانه في بقاع العالم من تسلط العدو والقهر والاضطهاد والكوارث ، فيكتفي بسلامة نفسه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

روي البخاري ومسلم عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "

(١٦) اعتقاد بعض الناس أن الإسلام علاقة بين العبد وربه ولا شأن له بحياة الناس ومعاملاتهم فتجد بعض هؤلاء محافظاً على صلاته وربما كان لا يتخلف عن صلاة الجماعة ومع ذلك تجده يغش المسلمين ويتقاضى الرشوة وابنته تسير في الشوارع متعطرة متزينة متبرجة وكل ذلك ظناً منه أنه قد أعطى لله حقه، فليفعل ما شاء في حياته إذن وما درى هذا المغرور قول الله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ

مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة:٨٥].

(١٧) انفصام عرى الأخوة بين المتآخيين.

روى البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [حديث رقم : ٦٣٧] عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ما تواد اثنان في الله عز وجل، أو في الإسلام، فيفرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما ".

فهذا دليل على شؤم المعصية قد يطال الروابط الأخوية ويفصمها ، فهذه الوحشة التي يجدها الإنسان بينه وبين إخوانه أحياناً هي نتيجة لتدني الإيمان بسبب ارتكاب المعاصي لأن الله يسقط العاصي من قلوب عباده ، فيعيش بينهم أسوأ عيش ساقط القدر زري الحال لا حرمة له ، وكذلك يفوته رفقة المؤمنين ودفاع الله عنهم فإن الله يدافع عن الذين آمنوا .

(١٨) ومنها : عدم استشعار المسئولية في العمل لهذا الدين ، فلا يسعى لنشره ولا يسعى لخدمته على النقيض من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين لما دخلوا في الدين شعروا بالمسئولية على الفور ، وهذا الطفيل بن عمرو رضي الله عنه كم كان بين إسلامه وذهابه لدعوة قومه إلى الله عز وجل ؟! لقد نفر على الفور لدعوة قومه ، وبمجرد دخوله في الدين رجع إلى قومه داعية إلى الله سبحانه وتعالى ، والكثيرون اليوم

يمكثون فترات طويلة ما بين التزامهم بالدين حتى وصولهم إلى مرحلة الدعوة إلى الله عز وجل .

كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقومون بما يترتب على الدخول في الدين من معاداة الكفار والبراءة منهم ومفاصلتهم ، فهذا ثمامة بن أثال رضي الله عنه – رئيس أهل اليمامة – لما أسر وجيء به فربط إلى المسجد وعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ثم قذف الله النور في قلبه فأسلم وذهب إلى العمرة فلما وصل مكة قال لكفار قريش : " وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" رواه البخاري

فمفاصلته للكفار ومحاصرته لهم اقتصادياً وتقديم كافة الإمكانات المتاحة لخدمة الدعوة حصلت على الفور ، لأن إيمانه الجازم استوجب منه هذا العمل .

(١٩) ومن مظاهره الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة فتراه مرتعد الفرائص ، مختل التوازن ، شارد الذهن ، شاخص البصر ، يحار في أمره عندما يصاب بملمة أو بلية فتنغلق في عينيه المخارج وتركبه الهموم فلا يستطيع مواجهة الواقع بجنان ثابت ، وقلب قوي وهذا كله لأنه قد صار عبدًا للدرهم والدينار فأصابته دعوة النبي صلي الله عليه وسلم ؛ روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ»

قال الدكتور مصطفى البغا تعليقًا على هذا الحديث :

(تعس) سقط على وجهه أو شقي وهلك. (عبد الدينار) مجاز عن الحرص عليه وتحمل الذلة من أجله فمن بالغ في طلب شيء وانصرف عمله كله إليه صار كالعابد له. (القطيفة) دثار مخمل والدثار ما يلبس فوق الشعار والشعار ما لامس الجسد من الثياب. (الخميصة) كساء أسود مربع له خطوط. (أعطي) من المال. (رضي) عن الله تعالى وعمل العمل الصالح. (انتكس) انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران. (شيك) أصابته شوكة. (فلا انتقش) فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معينا على الخلاص منه.

(٢٠) ومنها : كثرة الجدال والمراء المقسي للقلب .

روى أحمد في مسنده وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ٥٦٣٣] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» .

فالجدل بغير دليل ولا قصد صحيح يؤدي إلى الابتعاد عن الصراط المستقيم ، وما أكثر جدال الناس اليوم بالباطل يتجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ويكفي دافعاً لترك هذه الخصلة الذميمة ما رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ١٤٦٤] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»

(٢١) ومنه : التعلق بالدنيا ، والشغف بها ، والركون إليها ، فيتعلق القلب بالدنيا إلى درجة يحس صاحبه بالألم إذا فاته شيء من حظوظها كالمال والجاه والمنصب والمسكن ، ويعتبر نفسه مغبوناً سيء الحظ لأنه لم ينل ما ناله غيره ، وقد يُذل نفسه لغيره ليحصل على شئ من حطام الدنيا الزائل وينفر من ذكر الموت أشد النفور وكل ذلك لأنه عمر دنياه وخرب أخراه حتى صار المسلمون كغثاء السيل لا يعيرهم أحد اهتمامًا ولا يلق أحد لهم بالًا.

روي أحمد وأبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [حديث رقم :٩٥٨] عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تدعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل:يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت ".

(٢٢) ومنها : أن يأخذ كلام الإنسان وأسلوبه الطابع العقلي البحت ويفقد السمة الإيمانية حتى لا تكاد تجد في كلام هذا الشخص أثراً لنص من القرآن أو السنة أو كلام السلف رحمهم الله .

(٢٣) السخرية من أهل التقوى والصلاح والحط من قدرهم.

قال تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [الحجرات:١١]

روى أحمد والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم: ٥٤٤٣] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقه» .

(٢٤) محاكاة الكفار في هيئتهم وطريقة معيشتهم فمن ذلك :

الذي يأكل بالشوكة والسكين فيضع السكين في يمينه ويرفع الطعام بالشوكة إلي فمه بشماله ؛ روى مسلم عن سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك قال: لا أستطيع. فقال ﷺ : «لا استطعت» .ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه أي ما قدر أن يرفع يده مرة أخري إلى فمه لأنها صارت كالعصا لا تتحرك.

أو كالذي يحلق بعض شعر رأسه ويترك البعض ، أما علم هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ» قَالَ: قُلْتُ لِنَافِعٍ وَمَا الْقَزَعُ قَالَ: «يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكُ بَعْضٌ»

(٢٥) الإعراض عن الوحي وعدم الالتفات إلى نصوص الكتاب والسنة: اكتفاءً بتقليد الآباء وإصراراً على العادات الجاهلية مثل إقامة الأفراح الماجنة التي تشمل الأغاني والموسيقى والرقص وغير ذلك من المنكرات، وكذلك العادات المرتبطة بالموت مثل إقامة سرادقات العزاء والأربعين والسنوية وغير ذلك من العادات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَـهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان:٢١].

وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَـهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة:١٧٠].

(٢٦) فرض النظم والقوانين الوضعية بالقوة :

إن الشريعة الإسلامية ليست مجرد حدود وتعزيرات تطبق فحسب بل هي نظام وقانون حياة متكامل فالشريعة الإسلامية نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي وجنائي.

قال تعالى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْـجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)} [المائدة: ٤٩، ٥٠].

إن القارئ لهاتين الآيتين والمتدبر لهما يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى شرع الله أكد بمؤكدات ثمانية:

- الأول: الأمر في قوله تعالى:{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله}.

- الثاني: ألا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال وذلك في قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}.

- الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير والصغير والكبير وذلك في قوله تعالى:{وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ الله إِلَيْكَ}.

- الرابع: التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم، قال تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ}.

- الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله فإن الشكور من عباد الله قليل، قال تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}.

- السادس: وصف الحكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية، قال تعالى:{أَفَحُكْمَ الْـجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}.

- السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها، قال جل وعلا:{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْمًا}.

- الثامن: مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأتمها وأعدلها، وأن الواجب الانقياد له مع الرضا والتسليم، قال سبحانه:{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

روى ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم:٧٩٧٨] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» .

وقد أدت القوانين الوضعية إلى نتائج بشعة أوقعت المجتمع الإسلامي في هوة سحيقة:

(أ) دور القانون الوضعي في الانحلال الخلقي

إن القوانين الوضعية القذرة أتاحت الفرصة لراغبي المحرمات ولطلاب الربح المحرم أن يغرقوا في بحر الفجور والمجون فكثر شرب الخمر وصار للخمر محلات مرخصة فالقانون الوضعي لا يعاقب على شرب الخمر ولا على السُكر ذاته، إنما يعاقب السكران

إذا وجد في الطريق العام لأن وجوده في هذه الحالة يعرض الناس لأذاه واعتدائه وليس العقاب على السكر لذاته باعتباره رذيلة ولا على شرب الخمر باعتبار أن شربها مضر بالصحة، مذهب العقل، متلف المال، مذهب للأخلاق، مناف للشريعة.

- ليس هذا فحسب، فالقانون الوضعي يبيح الزنا إذا كان من بالغين رشيدين برضاهما، ما لم يكن ذلك على فراش الزوجية ولا عقوبة على الزنا إلا إذا أكره أحد الطرفين الآخر. وللأسف الشديد، مع انتشار هذه المنكرات أصبحت في نظر بعض أوساط المجتمع أموراً عادية بل هي من قبيل الحرية الشخصية وإنا لله وإنا إليه راجعون.

روى الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ١٠٧) أن رسول الله ﷺ قال: "ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر".

(ب) دور القانون الوضعي في تخريب الاقتصاد:

قال أصحاب بروتوكولات حكماء صهيون:

" يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بأيدينا ".

لما جاء الاحتلال بقوانينه أباح الربا المحرم ومع تعود الناس على البذخ والترف وارتفاع مستوى المعيشة صارت الدول الإسلامية تقترض من الدول الكافرة بفوائد ربوية باهظة حتى أصبح المسلمون لا طاقة لهم على سداد هذه الديون، وتحت وطأة هذه الديون صار للدول الكافرة حق التدخل في سياسات المسلمين الاقتصادية والإشراف عليها والتوجيه حفاظاً على مصالح الدول الكافرة صاحبة هذه الديون.

قال تعالي: " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِّ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{٢٧٥} يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ" [البقرة:٢٧٥-٢٧٦]

وقال تعالي: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَّ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{٢٧٨} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِّ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ" [البقرة :٢٧٨-٢٧٩]

(ج) دور القانون الوضعي في انتشار الجريمة وغياب الأمن:

فمع تعطيل العمل بالحدود الشرعية، أصبحت الجريمة سهلة ميسورة لأصحاب النفوس الضعيفة فما أسهل أن يسرق المجرم ويقطع الطريق ويروع الناس ثم يدخل السجن فترة يخرج بعدها وقد أصبح من عتاة المجرمين.

روى النسائي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم:٣١٣٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : «حد يعمل في الأرض خيرٌ لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا» .

(٢٧) رفض مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى أنه يتناقض مع الحرية الشخصية وهذا الأمر يعرض الأمة بأسرها لعقاب الله عز وجل ؛ روى أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ١٩٧٤) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه – ارتقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضع الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » .

ولذلك فإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للهلاك والخسران المبين في الدنيا والآخرة.

– روى البخاري عن النعمان ابن بشير – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا! فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

- روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش - رضي الله عنهما - أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها قالت زينب: فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «نعم إذا كثر الخبث » .

وما ذكرناه من مظاهر الإعراض عن الكتاب والسنة لا يمثل كل المظاهر لكننا ذكرنا أخطر تلك المظاهر وذكرنا كذلك النصوص الشرعية التي تعالج تلك الآفات المهلكة فهل من معتبر؟!!

إن الشريعة الإسلامية المنبثقة من نصوص القرآن والسنة شريعةٌ شاملةٌ جاءت لتنظم حياة الإنسان ليس في مجال الشعائر التعبدية فحسب بل في كل مجالات الحياة ؛ فلننهض إذًا من كبوتنا بهذه الشريعة الإسلامية العظيمة في العبادات والمعاملات ولن يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى نصوص القرآن والسنة بفهم سلف الأمة رضوان الله عليهم ، وأنا هنا أوجه حديثي – في المقام الأول – إلى عامة المسلمين ، فلا نهوض لأمتنا الإسلامية إلا بإصلاح عامتها ، إذ لو كان يكفي اشتغال بعض أفراد الأمة القلائل بالعلوم الشرعية لنهضت الأمة منذ زمن بعيد ، فهؤلاء - بفضل الله – لم يخلو منهم زمان ولا مكان وهم وقود نهضة الأمة الإسلامية وأساسها لكن الله قضى بحكمته البالغة ألا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا التغيير يجب أن يكون عامًا وشاملًا بمنهجية صحيحة

ورؤية واضحة للتعامل مع نصوص القرآن والسنة وحينئذٍ تستحق الأمة الاستخلاف والتمكين في الأرض ؛ قال تعالى : " وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " [النور : ٥٥]

أسأل الله أن يوفقني في إلقاء الضوء على هذه القضية العظيمة راجيًا من الله جل وعلا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يتقبل مني هذه الكلمات بقبول حسن وأن يرزقنا جميعًا النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

الضوابط الشرعية للتعامل مع النصوص الشرعية

(١) الإيمان بنصوص القرآن والسنة على وجه اليقين بلا شك ولا تردد .

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)} [الحجرات: ١٥].

(٢) التسليم والخضوع التام لأحكام الشرع مع الرضا وانشراح الصدر بها.

قال تعالى: { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } [النساء: ٦٥]

(٣) محبة النصوص الشرعية محبة تامة وهذا يقتضي :

(أ) أن يحب المسلم نصوص القرآن والسنة وما دلت عليه ، ويحب أهلها العاملين بها الداعين لها ، ويبغض ما ناقض ذلك.

قال تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } [البقرة: ١٦٥]

(ب) تفضيل أوامر الشرع على النفس والأهل والولد .

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } [النساء: ١٣٥]

(٤) تعظيم النصوص الشرعية وهذا يقتضي أن يكون المسلم وقافًا إذا جاءه الأمر من الله أو من رسوله صلى الله عليه وسلم امتثل ، وإذا جاءه النهي انتهى.

روى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: لما نزلت على رسوله ﷺ :{لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:٢٨٤].

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا، كما

قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير» . فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها: {آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله: {لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} إلى آخره.

(٥) الفرح بنصوص الكتاب والسنة وهذا يقتضي الحمد لله علي هذه النعمة العظيمة .. نعمة الإسلام وكفي بها نعمة وهذا هو حال المؤمنين الصادقين أما أهل الزيغ والضلال فلا تنشرح صدورهم أبدًا بنصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَّ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ } [الرعد: ٣٦]

قال تعالى: { وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ{١٢٤} وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥]

قال تعالى: { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت :٤٤]

وقال تعالى:{ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الزمر: ٤٥]

(٦) الحرص على البحث عن حكم الشرع في جميع القضايا التي تواجهنا في كل مناحي الحياة ؛ قال تعالى:{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩]

(٧) أخي المسلم ، إذا أردت أن يثبتك الله على دينه في الحياة ، وعند معاينة سكرات الموت وعند سؤال الملكين في القبر ، فاحرص علي فعل الطاعات واجتناب المحرمات في كل خطوة تخطوها في حياتك بمجرد أن تأتيك الموعظة من كتاب الله أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى:{ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً{٦٦} وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً{٦٧} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً{٦٨} وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً{٦٩} ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً } [النساء: ٦٦-٧٠]

(٨) القرآن لا يغني عن السنة ، بل هي مثله في وجوب الطاعة والاتباع ، وأن المستغني به عنها مخالف للرسول عليه الصلاة والسلام غير مطيع له.

قال الشيخ عبد الله الجديع في كتابه تيسير علم أصول الفقه ما فحواه :

السُّنَّةُ حُجَّةٌ ومصدرٌ تشريعِيٌّ كـ (القُرآنِ) في إفادَةِ الشَّرائعِ والأحكامِ في دينِ الإسلامِ، اتَّفقَ على ذلك الصَّدرُ الأوَّلُ من هذهِ الأمَّةِ وعامَّةُ أئمَّةِ الدِّينِ بعدَهُم ممَّن اقتفى آثارهُم وجرَى على منهاجهم في تقديم النَقلِ والوحيِ على العقلِ والرَّأي ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أ) استواءُ السُّنَّة مع القرآنِ في كونهَا وحيًا، فقد قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣ـ٤] ، وروى أحمد عن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معد يكرب – رضي الله عنه – يقول: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال:" يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدَّثُ بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدناه فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله" صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

، ففي هذا إبانَةٌ عن كونِ السُّنَّةِ ممَّا أُوتيَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وأنَّها في إفادَةِ التَّشريعِ كالقُرآنِ، وهذا معنى المثليَّةِ في الحديثِ مؤكَّدًا بإنكارِ التَّفريقِ بينهمَا في المثلِ المضروبِ.

ب) مساواةُ الله تعالى بين طاعتهِ وطاعةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠]

ج) تمكينُ الله تعالى نبيَّهُ – صلى الله عليه وسلم – من شرحِ الكتابِ وتفصيلِ أحكامِهِ وشرائعِهِ دليلٌ على أنَّ اكتمالَ الإدراكِ لأحكامِ الكتابِ لا يتمُّ إلاَّ ببيانِ الرَّسولِ صلى الله

عليه وسلم فيكونُ الاحتجاجُ بالسُّنَّةِ غيرَ متأخرِ الرُّتبةِ عن درجةِ الكتابِ في إفادَةِ التَّشريعِ لاحتياجِ الكتابِ إليها، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤] .

(٩) الالتزام بفهم الصحابة ومَن سار على دربهم لنصوص الكتاب والسنة ، وهذا الضابط هو الحد الذي يفصل أهل السنة والجماعة عن أهل البدع والزيغ والضلال لأن أهل الزيغ والضلال يدعون أن مستندهم هو الكتاب والسنة فيأتي هذا الضابط ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حَيَّ عن بينة .

وهنا قد يقول قائل : لماذا تدعون الناس إلى وجوب التزام فهم الصحابة لنصوص الكتاب والسنة ؟

والجواب هو أن الصحابة قد تميزوا بمميزات لم تتوافر لغيرهم وهي :

١-صحبة النبي ﷺ : وهذا يقتضي أن الصحابة قد شاهدوا التنزيل وعلموا التأويل وعرفوا مقاصد الشريعة.

٢- الصحابة هم أهل اللغة العربية وسادتها .

قال الشيخ عبد الله الجديع في كتابه تيسير علم أصول الفقه:" وأمَّا تفسيرُهُم للنُّصوصِ من الكتابِ والسُّنَّة من جهةِ ما تدلُّ عليه ألفاظُها في استعمالِ اللِّسانِ؛ فهوَ حُجَّةٌ، وهو أعلى وأقوَى ممَّا يُذكرُ عن آحادِ أئمَّةِ اللُّغةِ بعدَهُم، لأنَّهُم كما لا يخفَى أهلُ اللِّسانِ، فكيفَ وقدِ انضمَّ إلى ذلكَ معرفَتُهُم بمُرادِ الشَّارعِ فيما يستعملُه من تلكَ الألفاظِ؟"

٣-تزكية الصحابة في القرآن والسنة :

قال تعالى:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح:٢٩].

وقد زكاهم النبي ﷺ أيضاً في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون "

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ."

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟

قال:" أقراني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته."

وروى مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟

قال: "القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث."

٤-الإشارة إلي وجوب اتباع سبيل الصحابة في القرآن الكريم :

قال تعالى :{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى : {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[البقرة :١٣٧]

٥-تصريح النبي ﷺ في حديث عظيم واضح الدلالة أن سبيل النجاة الوحيد هو التزام هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام في فهم الدين وتطبيقه في الاعتقاد والمنهج والعلم والعمل :

روى الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٣٤٣] عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة.

قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي."

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: " من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ."

قال ابن تيمية – رحمه الله –: "من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين: فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام ."

(١٠) وجوب الرد والرجوع عند التنازع والاختلاف في شيء من أمور الدين إلى الله وإلى الرسول ﷺ .

قال الإمام الشاطبي في هذه المسألة: " فإن في مسائل الخلاف ضابطاً قرآنياً ينفي اتباع الهوى جملةً وهو قوله تعالى:{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ} [النساء:٥٩] وهذا المقلد قد تنازع في مسألته مجتهدان فوجب ردها إلى الله والرسول ؛ وهو الرجوع إلى الأدلة الشرعية؛ وهو أبعد من متابعة الهوى والشهوة، فاختياره أحد المذهبين بالهوى والشهوة مضاد للرجوع إلى الله والرسول ".

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٥٤) :

(فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل (يعني قوله : وأطيعوا الرسول) إعلاماً بأن طاعته تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب ، أو لم يكن فيه ، فإنه " أوتي الكتاب ومثله معه " ، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالًا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول.) ومن المتفق عليه عند العلماء أن الرد إلى الله إنما هو الرد إلى كتابه

، والرد إلى الرسول ، هو الرد إليه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته ، وأن ذلك من شروط الإيمان .

(١١) الالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة و الباطنة إذ ليس في شرائع الإسلام قشور كما يدعي بعض من لا علم له ولا أدب مع الله ورسوله ﷺ.

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [البقرة:٢٠٨]

التفسير : يا أيها الذين آمنوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا وبالإسلام دينًا، ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، عاملين بجميع أحكامه، ولا تتركوا منها شيئًا، ولا تتبعوا طرق الشيطان فيما يدعوكم إليه من المعاصي. إنه لكم عدو ظاهر العداوة فاحذروه.

إن المؤمن الحق يأخذ بجميع عرى الإسلام وشرائعه فيوافق ظاهره باطنه إذ أن الظاهر هو عنوان الباطن ، ولا عجب في ذلك فالإسلام كما اهتم بصلاح الباطن، اهتم أيضا بإصلاح الظاهر والدليل على ذلك:

- روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح، حتى رأى أنا عقلنا عنه، ثم خرج يوما فقام حتى كاد يكبر، فرأى رجلا باديا صدره من الصف، فقال:"عباد الله، لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم" وفي رواية: قلوبكم. فأشار النبي ﷺ إلى أن

الاختلاف في الظاهر ولو في تسوية الصف مما يوصل إلى اختلاف القلوب فدل على أن للظاهر تأثيراً كبيراً في الباطن.

- روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"لعن رسول الله - ﷺ - المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال ."

- روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت، فتمعط شعرها، فأرادوا أن يصلوها، فسألوا النبي ﷺ فقال:"لعن الله الواصلة والمستوصلة."

- روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : " لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله."

- روى مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال:"رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها."

- روى أبو داود وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :"لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون." فجعل النبي ﷺ مخالفة اليهود والنصارى بتعجيل الفطر سببا في بقاء الدين ظاهراً.

- روى أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٤٣٩) عن أنس - رضي الله عنه - قال: قدم النبي ﷺ ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال: ما هذان اليومان؟

قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ :"قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر."

- روى أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٤٣٧) عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: " نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانه، فقال النبي ﷺ : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟، قالوا لا.

قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟

قالوا: لا

فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم .

والحديثان الأخيران يوضحان بجلاء أن النبي ﷺ نهي عن حضور أعياد الكفار والمشركين ولو لم يفعل فعلاً يغضب الله فكيف بمن يحضرون أعيادهم ويفعلون أفعالهم أو يهنئونهم بها؟!!

- روى أحمد والطبراني في الكبير عن الشريد - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ - تبع رجلا من ثقيف حتى هرول في أثره حتى أخذ ثوبه فقال: ارفع إزارك. قال: فكشف الرجل عن ركبتيه فقال: " يا رسول الله، إني أحنف وتصطك ركبتاي " فقال رسول الله ﷺ : كل خلق الله عز وجل حسن.

قال: ولم ير ذلك الرجل إلا وإزاره إلى أنصاف ساقيه حتى مات.

قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علي شرط مسلم

أحنف أي: مائل الرجل.

- روى أحمد وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط عن عبادة بن قرص - رضي الله عنه - قال: " إنكم لتأتون أشياء هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات " فذكروا قول عبادة بن قرص لمحمد بن سيرين فصدقه وقال: " أرى جر الإزار منه " يعني من الموبقات، لما جاء فيه من الوعيد الشديد والناس يعدونه من الصغائر لفرط جهلهم وغرورهم.

والوعيد الشديد الذي جاء في شأن إسبال الإزار هو قوله ﷺ : " ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار." رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

أبعد كل هذه الأحاديث الصحاح التي توضح أعظم إيضاح مدى اهتمام الإسلام بالظاهر وأن الظاهر هو عنوان الباطن، يأتي من يقول: دعوا هذه القشور والمهم أن يكون القلب نظيفاً؟!!

(١٢) إنزال العقل منزلته بلا تفريط ولا إفراط، فالعقل - كما قرر الشرع - تابع لنصوص الشرع :

(أ) فلا نفرط تفريط غلاة الصوفية اللذين ألغوا عقولهم، وكلما كان شيخهم أحمق وأجهل، كان - عندهم - أعرف بالله وأعظم منزلة، وهذا شر واضح وجهل فاضح.

(ب) ولا نقدس العقل كالعصرانيين العقلانيين الذين يقدسون العقل ويجعلونه نداً للشرع بل حاكماً للشرع ومقدماً عليه، فالقرآن والسنة - عندهم - يتبعان العقل. ولا شك أن مسلك هؤلاء العصرانيين ضلال مبين وانحراف عن الصراط المستقيم وذلك للآتي:

- ١ - العقل لا يستطيع أن يهتدي بنفسه الى الطريق المستقيم دون نور من الوحي ولذلك يتبين لك عدم دقة العبارة التي يرددها بعض العامة: (ربنا عرفوه بالعقل) بل عرفنا ربنا بالوحي أولاً ثم بالعقل والدليل على ذلك أن النبي ﷺ نفسه بعقله النير الذكي لم يستطع قبل الوحي ان يتعرف على حقائق الايمان؛ قال تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)} [الشورى ٥٢].

- ٢ - العقل لا يثبت أحكاماً من تلقاء نفسه لكنه مناط التكليف وآلة لفهم حكم الله، فان أثبت حكماً صواباً - من خلال الاستنباط من الأدلة الشرعية - فهو في الأصل حكم لله، وان كان غير ذلك فهو حكم بالهوي المذموم.

- ٣ - لو كان العقل يستطيع أن يهتدي وحده الى ربه، فما فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب إذن؟!

- ٤ - النصوص الشرعية ثابتة والعقل متغير تتحكم فيه عوامل كثيرة منها مقدار ما يحمله من علم، والظروف النفسية والبيئية المحيطة به، والأهواء، ووساوس الشيطان

وغير ذلك. ولذلك فلا يصح أن يخضع الثابت للمتغير فما يقبله عقلي لا يقبله عقلك وما يقبله عقلك لا يقبله عقلي وهكذا، لذا كان الشرع حاكماً على عقولنا جميعاً.

- ٥ - العقل له حدوده والتي لا يستطيع أن يتعداها، والا فسروا لي أيها العصرانيون العقلانيون الماديون: كيف تتكلم النملة؟ وما هو شكل الكهرباء؟ وما هو شكل الروح؟

- ٦ - الدول الصناعية المتقدمة لم تدلهم عقولهم على الله: فمعظم هذه الدول ما بين ملحد لا يؤمن بوجود الله إلى من يعبد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - إلى من يعبد الأحبار والرهبان.

واذا شئت فانظر الى الهند الدولة النووية المتقدمة في صناعة برامج الحاسب الآلي مازالوا يعبدون البقر وبعضهم يسجد لصنم بوذا فأي عقول تلك بالله عليكم؟!

ولا تقل لي يا أخي: نحن في منأى عن ذلك، فلا أحد يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ألم تسمع ما رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (حديث رقم ٥٤٠٦) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " .... وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ. "

- ٧ - أنت مبصر وأنا مبصر، ولكن هل نرى في الظلام؟ لا نرى شيئاً في الظلام مع أننا نملك حاسة الإبصار. لا بد من نور لكي نرى، لابد لعقلي ولعقلك من نور النبوة ليبصر هذا العقل الحق على حقيقته.

(١٣) الحرص على إبلاغ نصوص الشرع و إيضاح أوامره ونواهيه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة .

قال تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْـمُشْرِكِينَ} [يوسف:١٠٨]

قال تعالى :{ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل : ١٢٥]

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ : "بلغوا عني ولو آية".

قيل: بلغوا: تكليف، عني: تشريف، ولو آية: تخفيف.

(١٤) البعد عن مصاحبة ومجالسة الأشرار الذين لا يرفعون بالنصوص الشرعية رأسًا ولا يقيمون لها وزنًا

قال تعالى : " الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ " [الزخرف:٦٧]

وقال تعالى : "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً{٢٧} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً " [الفرقان : ٢٧– ٢٨]

روى الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. "

(١٥)النصوص الشرعية هي ميراث النبي ﷺ فاحرص على أن يكون لك ولأولادك نصيب فيه.

روى أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم: ٦٢٩٧]عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ "

(١٦) عدم تنزيل أقوال العلماء – وهم بشر يخطئون ويصيبون و إن عظم قدرهم – منزلة النصوص الشرعية وذلك للأسباب الآتية :

١ –أقوال العلماء يستدل لها ولا يستدل بها فالحجة في أي رأي فقهي تكمن فيما استند إليه من دليل، أما ما خالف الدليل فلا يساوي شيئاً. قال تعالى:{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف:٣].

وقال تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام:١٥٥].

وقال تعالى:{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام:١٠٦]

٢-تنزيل أقوال العلماء منزلة النصوص الشرعية يلزم منه القول بعصمة الأئمة المجتهدين عن الخطأ والنسيان وهو قول باطل قطعاً لأن العصمة انتهت بوفاة النبي ﷺ.

٣- خطأ الأئمة المجتهدين في بعض مسائل الاجتهاد ومخالفتهم للسنة فيها وهذا يرجع إلى عدة عوامل:

(أ) ألا يكون الحديث قد بلغ الواحد منهم.

(ب) أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه لم يثبت عنده كأن يكون قد بلغه من طريق ضعيف وللحديث طريق آخر صحيح لم يطلع عليه.

(ج) أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكنه نسيه.

(د) عدم معرفته بدلالة الحديث: تارة لكون اللفظ في الحديث غريباً عنده ومما يختلف العلماء في تفسيره، وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي ﷺ، وتارة لكون اللفظ مشتركاً مجملاً أو متردداً بين حقيقة ومجاز فيحمله علي الأقرب عنده وإن كان المراد هو الآخر، كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر: الخيط الأبيض والخيط الأسود على الحبل وغير ذلك.

(ه) اعتقاده أنه لا دلالة في الحديث أو الآية والفرق بين هذا والذي قبله أن الأول لم يعرف جهة الدلالة وهذا عرفها لكنه لم يعتقد أنها دلالة صحيحة

(و) اعتقاده أن دلالة النص صحيحة ولكن قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة مثل معارضة العام بخاص أو المطلق بمقيد أو غير ذلك من المعارضات كأن يعتقد أن النص منسوخ أو مؤول.

لهذه الأسباب وغيرها قد يعذر الأئمة المجتهدون بمخالفتهم لحديث من أجلها فهم قد بذلوا وسعهم ولم يقصروا.

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر"

أما مقلدوهم فليسوا بمعذورين إذا قلدوهم في المسألة التي خالفوا فيها السنة لأن المعذور هو المجتهد الذي بذل جهده في تعلم كتاب الله وسنه رسوله وأقوال أصحابه وفتاواهم بخلاف المقلدين الذين أعرضوا عن نصوص الوحي

* أمثلة لمسائل أخطأ فيها الأئمة وخالفوا فيها السنة

مثال١ : أبو حنيفة – رحمه الله – ترك العمل بحديث القضاء بالشاهد واليمين في الأموال وبحديث تغريب الزاني البكر وغير ذلك.

مثال٢: مالك – رحمه الله – أنكر صيام الست من شوال واستحسن صيام يوم الجمعة ولو مفرداً لأنه لم يبلغه السنة فيهما.

مثال٣: الشافعي – رحمه الله – قال بنقض الوضوء بمجرد لمس المرأة بدون حائل مع ورود ما يخالف ذلك في السنة.

مثال٤: أحمد بن حنبل – رحمه الله – قال بصيام يوم الشك احتياطاً لرمضان مع ورود النص بالنهي عن صومه.

وليس المقصود بهذه الأمثلة انتقاص الأئمة والتقليل من شأنهم ، وإنما قصدنا مع الاعتراف بعظم منزلتهم أن نبين أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب تقديمهما علي أقوالهم لأنهم غير معصومين عن الخطأ.

٤- تصريح الأئمة أنفسهم بأنهم لم يطلعوا على جميع نصوص الشريعة ومن أمثلة ذلك:

- مثال١: قال الإمام مالك: " إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء لم نطلع عليها "

مثال٢: قال عبد الله بن وهب: سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟

فقال: ليس ذلك على الناس.

قال: فتركته حتى خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: " رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه " فقال مالك: إن هذا الحديث حسن وما سمعت به قط إلا الساعة. ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيأمر بتخليل الأصابع.

مثال٣: قال الإمام الشافعي مخاطباً الإمام أحمد بن حنبل: " أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً "

٥- نهى الأئمة عن تقليدهم فيما أخطأوا فيه، ومن أمثلة ذلك:

مثال١: قال أبو حنيفة - رحمه الله -: " إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي "

مثال٢: قال مالك بن أنس - رحمه الله -: " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه "

مثال٣: قال الشافعي - رحمه الله -: " كل ما قلت؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي أولى فلا تقلدوني "

مثال٤: قال أحمد بن حنبل - رحمه الله -: " لاتقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا "

وقال أحمد أيضاً: " من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة ".

(١٧) النصوص الشرعية وحدة واحدة متكاملة لا تفهم بمنأى عن بعضها البعض

ومعنى ذلك أن استخراج الحكم الشرعي الصحيح يستلزم جمع النصوص الشرعية الواردة في هذا الباب جميعًا ، وكما يقولون : بالمثال يتضح المقال ؛ روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الشِّفَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ "

المتدبر لهذا الحديث لن يتردد لحظة واحدة في تحريم الكي لأن النهي يقتضي التحريم ، لكنه لو بحث قليلًا سيجد ثمة أحاديث أخرى في هذا الباب فمن ذلك :

ما رواه مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ، قَالَ: «فَحَسَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ بِمِشْقَصٍ، ثُمَّ وَرِمَتْ فَحَسَمَهُ الثَّانِيَةَ»

والحسم : هو الكي

وروى البخاري عن أَنَسٌ رضي الله عنه : «كُوِيتُ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ، وَشَهِدَنِي أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو طَلْحَةَ كَوَانِي»

يتضح من الحديثين الأخيرين جواز الكي ، وقد يتخيل البعض وجود تعارض بين الحديثين الأخيرين والحديث الأول ولكن لا تعارض بفضل الله لأن النهي في الحديث الأول للكراهة وذلك لأنه قد جاءت قرينة – وهي فعل النبي ﷺ وإقراره للكي في الحديثين الأخيرين – صرفت النهي – أي حولته – من التحريم إلي الكراهة.

والكلام في هذا الضابط يطول وليس هذا مقام بسط هذا الموضوع لأن حديثي ينصب في المقام الأول على عامة المسلمين.

(١٨) شعار : "علقها في رقبة عالم واطلع سالم " – الذي يتخذه بعض الناس ذريعة للتحايل على أحكام الشرع ومحاولة الهروب منها ، بتتبع زلات العلماء في كل المذاهب – لن ينفعهم أمام الله كما لا ينفعهم قضاء القاضي لهم إذا قضى لهم بغير حقهم فقد روى

البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: "فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ."

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦].

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ينفي أن يكون للمؤمنين خيار إذا جاءهم الأمر من الله أو رسوله ﷺ فكيف يزعم متتبعو الرخص بعد هذا البيان الواضح أن لهم أن يختاروا ما يشاءون من الآراء الفقهية التي لا تستند إلي دليل؟!!

(١٩) يجب على المسلم العامي - وأقصد به غير المتخصص في العلوم الشرعية وإن كان حاصلاً على أرفع الشهادات في العلوم الدنيوية – أن يجتهد في معرفة حكم الله ورسوله ﷺ في كل ما يجهله من أمور تعرض له سواءً في العبادات أو المعاملات و ذلك بالبحث عن العالم الأعلم والأدين ولا يدخر وسعاً في ذلك ولا يتعلل بكثرة أشغاله فبعض الناس تجده إن مرض يبحث عن أفضل طبيب، أما إن احتاج لمعرفة حكم شرعي تجده يتساهل ويختار العالم المشهور بالترخص لمجرد أنه يوافق هواه أو يتسرع فيفتي نفسه فيقع في هوة سحيقة بتحليل الحرام أو بتحريم الحلال.

وإذا كنتَ لا تستطيع أن تختار من تسأله من العلماء فلتسأل طلاب العلم في محيطك – وهؤلاء لا يخلو منهم زمان أو مكان - يرشدونك ويوجهونك - بإذن الله – إلى العالم العامل بعلمه الذي تري سنة النبي ﷺ واضحةً في ظاهره وباطنه

قال تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" [الأنبياء: ٧]

(٢٠) توقير العلماء واحترام التخصص ورد الأمر إلي أهله أما أن يدلي الكل بدلوه ما دامت المسألة دينيةً ؛ باعتبار أنه مسلم – وهذا في نظره يكفي ليتكلم في الدين – فيُداس مبدأ احترام التخصص بالأرجل ، وتجد كسير وعوير وثالث ما فيه خير يتكلم ويفتي ويضعف الأحاديث الصحيحة فهذه فوضى عارمة ستقود حتمًا إلى مصائب محققة ، وصدق مَن قال : مَّن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.

قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْـخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)} [النساء:٨٣]

روى أحمد والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم: ٥٤٤٣] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقه» .

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وأولادنا من حفظة كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ الحريصين عليهما العاملين بهما آناء الليل وأطراف النهار، إن ربي سميع قريب.

الفصل الثاني

قضية اعتقاد بعض الناس أن التمسك بالسنة من قبيل التشدد

شاع في المجتمع الآن أن من يأمر بالالتزام بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- كتوفير اللحى وترك الإسبال أن هذا متنطع ومتزمت كما يزعمون .

وهذا مفهوم خاطئ لأن الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي أن الكتاب والسنة فيهما أن الغلو والتشدد والتزمت هو الزيادة عن المشروع ، أما الالتزام بالمشروع وتطبيق السنة هذا ليس تشدداً بل هذا اعتدال ، فترك الإسبال وإكرام اللحية وإرسالها وعدم حلقها هذا عمل بالسنة .. هذا اعتدال وليس تشدداً ، أما حلقها والإسبال هذا ترك للسنة .. هذا تفريط ، والدين بين الإفراط والتفريط ، ولذا كان من الأهمية بمكان إيضاح هذه القضية بشكل جلي لا يبقي معه غموض ولا التباس .

روي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»

روي البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ "

روي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»

تعريف التشدد

التضييق على النفس ، أو على الناس في الأحكام الشرعية ، أو المواقف تجاه الآخرين ، أو التعامل معهم بما لا تقتضيه قواعد الشرع ومقاصد الدين ؛ لأن الدين مبني على الأخذ بالأحكام الشرعية ، مع مراعاة التيسير ودفع المشقة والأخذ بالرخص في مواطنها ، ودرء الحدود بالشبهات ، وإحسان الظن بالناس ، والإشفاق عليهم ، والإحسان إليهم ، والنصح لهم ، والعفو عنهم ، والتماس الأعذار لهم ، هذا هو الأصل ، والخروج عنه لغير مصلحة راجحة مقدرة عند أهل الفقه في الدين يُعد من التشديد المنهي عنه في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))

مظاهر التشدد في الدين

١– التسرع في تكفير الناس بمجرد الوقوع في الكفر

٢– عدم العذر بالجهل في الدين

٣- تبديع الناس وتفسيقهم بمجرد الظن والهوى

٤- الإسراف في الوضوء والغسل بدافع الإنقاء

٥- الأخذ بالتشديد في مسألة اجتهادية وقع الخلاف فيها والإنكار على المخالف وتبديعه .

٦- رمي العالم أو الداعية بمجرد الزلة تقع منه فلا يسمع له ولا يقرأ له ولا يثنى عليه بما هو أهله

٧- محاسبة الناس على ترك النوافل والانتقاص منهم

٨- إلزام الناس بالأخذ بالعزيمة وترك الرخص الشرعية كإلزام المريض بصلاة الجماعة في المسجد.

أسباب التشدد

١- قلة الفقه في الدين (أي ضعف العلم الشرعي)، أو أخذ العلم على غير نهج سليم، أو تلقيه عن غير أهلية ولا جدارة.

٢- ظهور نزعات الأهواء والعصبيات والتحزبات.

٣- الابتعاد عن العلماء وجفوتهم وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم، والتلقي عن دعاة السوء والفتنة والالتفاف حولهم.

٤- التعالم والغرور، والتعالي على العلماء وعلى الناس، واحتقار الآخرين وآرائهم.

٥- حداثة السن وقلة التجارب، والغيرة غير المتزنة؛ (عواطف بلا علم ولا حكمة).

٦- شيوع المنكرات والفساد والظلم في المجتمعات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير فيه، كما في كثير من البلاد الإسلامية.

٧- النقمة على المجتمع ، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية في كثير من بلاد المسلمين.

٨- تحدي الخصوم (في الداخل والخارج) واستفزازهم للغيورين، وللشباب وللدعاة ، وكيدهم للدين وأهله، وطعنهم في السلف الصالح.

٩- قلة الصبر وضعف الحكمة في الدعوة لدى كثير من الغيورين ولاسيما الشباب المتدين.

١٠- تقصير الولاة وغفلة العلماء وطلاب العلم والدعاة والمربيين والآباء والمتصدِّرين عن معالجة هذه السمات وأسبابها في وقت مبكر.

أخي الكريم ، ألم تلاحظ معي أن التمسك بالسنة ليس ضمن أسباب التشدد؟! بل هو والله العلاج الناجح والناجع للتشدد ولكل أمراض الأمة .

بعض صور التباس مفهوم التشدد عند الناس

١ - اتهام الملتزم بالتشدد :

فذلك الحامي لمحارم الله والملتحي أو الذي يهاجم البدع ينظرون له وكأنه متشدد في الدين ، في حين أننا نرجو له أن يكون بمنزلة عالية عند الله لما يصبر عليه من أذى وتعليقات ونظرات الناس. والمسلم العاقل يغبطه على أفعال كهذه ويتمنى من الله أن يرزقه ما رزقه. فلا تهاجموا أي ملتزم واتقوا الله في أنفسكم.

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [الحجرات : ١١]

روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»

٢-اتهام العلماء بالتشدد :

يتهم الناس الكثير من الشيوخ والعلماء بالتشدد بلا علم وكل حجتهم أنهم سمعوا الناس يقولون عنهم هذا. قد تهدي كتاباً لشخص ما فيقول لك : هذا شيخ لا أطيقه. وإذا بالسبب عندما تسأله هو أقوال الناس وأهل طائفته تحديداً أي "عذر أقبح من ذنب" فإن قلتَ له : من أين لك بهذه الافتراءات ؟ وكان الجواب : هكذا سمعت ... فأفحمه بالحديث: روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»

فإذا بدأ يتراجع وقال: حسناً لا أدري ، فقل له : قال الله تعالى : " وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً " [الإسراء : ٣٦]

٣- قذف عالم بالتنطع لفتوى اجتهد فيها :

قذف عالم بالتنطع لفتوى من الفتاوى التي أفتاها التي ربما كانت هذه الفتوي خاطئة بسبب تفسير خاطئ أو فهم خاطئ ولكن وفي جميع الأحوال فهو اجتهد وأخذ أجره من الله أما أنت يا من تقذفه فلم تنل إلا الذنب ويا أخي لا تتحدث عن أحد وأنت لم تبلغ عشر ما بلغه من علم وعمل .

روي البخاري عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»

روي أحمد والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٤٤٣] عن عبادة بن الصامت عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقه».

٤- حصر التشدد بجماعة معينة :

لهذا الادعاء مروجون يحبون أن يتهموا جماعات معينة بهذه التهم ويدعون لأنفسهم الليونة في الدين وتجد أحدهم يقول إن صلاة من يمسح على الجورب لا تقبل !!

روي أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٨٠١٣] عن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه» .

القذي جمع قذاة وهي ما يقع في العين والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ (وينسى الجذع) واحد جذوع النخل (في عينه) كأن الإنسان لنقصه وحب نفسه يتوفر على تدقيق النظر في عيب أخيه فيدركه مع خفائه فيعمى به عن عيب في نفسه ظاهر لا خفاء به ، فرحم اللهّ من حفظ قلبه ولسانه ولزم شأنه وكف عن عرض أخيه وأعرض عما لا يعنيه فمن حفظ هذه الوصية دامت سلامته وقلت ندامته فتسليم الأحوال لأهلها أسلم واللهّ أعلى وأعلم وللهّ در القائل:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه

فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه ويبحث عن العيب الذي بأخيه

٥- فلان حنبلي :

كلمة نسمعها كثيرا في مجالسنا أن فلاناً أصبح حنبلياً والمقصود بذلك أنه أصبح متشدداً في الدين يختار من الطرق أصعبها، وأحمد بن حنبل ذلك الإمام العالم رحمات الله عليه برئ من هذا النسب وكان أولى بمن يقول ذلك أن يرجع إلى سيرته ويقرأ على الأقل قصة فتنة خلق القرآن التي سجن بسببها مدة طويلة وكان باستطاعته أن ينقلب على ولاته في أي وقت لكثرة مؤيديه في الخارج ولكنه أصر على أن يقنع حتى ولاة الأمور بأن القرآن كلام الله ليس مخلوقا كما يدعي بعض حاشية الخلفاء في ذلك الوقت ونجح في النهاية رحمه الله وأرضاه ، وليس ذلك فحسب بل إن المطلع علي المذهب الحنبلي يجد أنه من أيسر المذاهب وذلك يرجع إلي أنه ألصق المذاهب بالسنة لأن الإمام أحمد – رحمه الله – اطلع علي ما لم يطلع عليه الأئمة الآخرون من أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم .

٦- اتقاء الشبهات تشدد :

نحن في عصر انتشر فيه الرويبضات يحللون ويحرمون ويضعون الرخص وللأسف الشديد راح كثير من المسلمين – ممن يتبعون شهواتهم – يلهثون وراء تلك الرخص التي لا حظ لها من سند ولا دليل ولسان حالهم ومقالهم ينطق فيقول : ذنبي في رقبته،

فهل إن قيل له يوماً بأن شيخه المرخص انتحر سينتحر؟! وينتج من كل هذا أن يتهم بعضُ المسلمين مَن يتقي الشبهات بالتشدد ؛ روي مسلم عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» .

الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية اعتقاد بعض الناس أن التمسك بالسنة من قبيل التشدد :

(ا) التنبيه علي أن الإسلام نهي عن التشدد والغلو ومن ذلك :

١ - قال تعالي " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ " [النساء: ١٧١]

٢ - قال تعالي " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ " [المائدة :٧٧]

٣-قصة بقرة بني إسرائيل التي ما شدد عليهم في أمرها إلا لتشددهم وإبائهم لذبح أيّ بقرة تيسرت ؛ قال تعالي : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ{٦٧} قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ{٦٨} قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ{٦٩} قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللّهُ لَمُهْتَدُونَ{٧٠} قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ " [البقرة:٦٧-٧١]

٤-روي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "

٥- روي البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»

٦- روي البخاري ومسلم عن جابر قال : كان معاذ يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي فيؤم قومه فصلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف فقالوا له أنافقت يا فلان قال لا والله ولآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأخبرنه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذاً صلى معك العشاء ثم أتى قومه فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال : " يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ : (الشمس وضحاها) (والضحى) (والليل إذا يغشى) و (وسبح اسم ربك الأعلى) "

٧-روي أحمد في مسنده وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٤٦) عن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق "

٨- روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة "

٩- روي ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والضياء وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٣) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"

١٠- روي البخاري في " التاريخ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٢٤) عن سَهل بْن حُنَيْفٍ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال "لا تشددوا على أنفسكم فإنما هلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات "

١١- روي مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هلك المتنطعون " . قالها ثلاثا .

١٢- روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأله عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه"

(٢) الالتزام بالسنة ليس تشدداً وإنما هو اتباع واقتداء بالنبي صلي الله عليه وسلم والأدلة علي وجوب اتباع سنة النبي صلي الله عليه وسلم أكثر من أن تحصي فمن ذلك :

- قال تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللهَّ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"[آل عمران: ٣١،٣٢]

- قال تعالى: " وَأَطِيعُوا اللهَّ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " [آل عمران: ١٣٢]

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" [النساء:٥٩]

- قال تعالى: " وَأَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ " [المائدة: ٩٢]

- قال تعالى: " وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [الأنفال :١]

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ " [الأنفال:٢٠]

- قال تعالى: " وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ " [الأنفال:٤٦]

- قال تعالى: " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ " [النور:٥٤]

- قال تعالى: " وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " [النور:٥٦]

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ " [محمد:٣٣]

- قال تعالى: " وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " [الحشر:٧]

- قال تعالى: " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ " [التغابن:١٢]

وفي آيات أخرى كثيرة أمرنا الله عز وجل بعدم مخالفة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وحذرنا من عصيانه، وتوعد من يخالفه بالعذاب الأليم، ونفي الإيمان عمن لا يتبع حكمه ومما ورد بشأن ذلك في القرآن الكريم:

- قال تعالى: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " [النساء:٦٥]

- قال تعالى: " أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ " [التوبة:٦٣]

- قال تعالى: " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [النور:٦٣]

- قال تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا " [الأحزاب:٣٦]

- قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " [الحجرات:١]

- قال تعالى: " وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ " [النساء:١٤]

وفي الأحاديث النبوية التي تتضمن هذا المعني ذكري لأولي الألباب :

- روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟

قال: " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"

- روى مسلم بن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"

- روى البخاري ومسلم عن أبي بردة عن أبي موسى – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا

قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق"

- روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفي رواية لمسلم: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"

- روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٢٥٤٩] عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

فقال: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"

- روى أحمد وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط عن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معد يكرب – رضي الله عنه – يقول: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أشياء ثم قال: " يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدَّثُ بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدناه فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله"

- روى البخاري عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه قال: " جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بني داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا: أولوها له يفقهْهَا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم فَرقٌ بين الناس"

(٣) النبي صلي الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين فكيف برحمته بأمته ، ومن مظاهر هذه الرحمة :

- روي البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما؛ ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنتهك حرمة الله تعالى، فينتقم لله عز وجل بها".

يقول الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" :

" قوله : (بين أمرين) أي : من أمور الدنيا ، يدل عليه قوله : (ما لم يكن إثماً) ؛ لأن أمور الدين لا إثم فيها ، وقوله : (ما لم يكن إثما) أي : ما لم يكن الأسهل مقتضيا للإثم ، فإنه حينئذ يختار الأشد .

- روي مسلم عن أبي هريرة قال : : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا " فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال : " لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم " ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه "

- روي البخاري ومسلم عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما أصبح قال

" قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم " وذلك في رمضان .

فانظر – رحمني الله وإياك – إلي مدي رحمة النبي صلي الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليهم فهو لم يواظب علي صلاة التراويح في المسجد خشية أن تفرض علي أمته .

- روي البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ»

- روي البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» ، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا» . قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»

(هلكت) فعلت ما يستوجب الهلاك والعقوبة. (وقعت على امرأتي) جامعتها. (رقبة) عبد مملوك أو أمة. (تعتقها) تحررها من الرق. (فمكث) جلس ينتظر. (الحرتين) مثنى حرة وهي أرض ذات حجارة سوداء والمدينة بين حرتين. (أنيابه) هي الأسنان الملاصقة للرباعيات وهو علامة شدة ضحكه صلى الله عليه وسلم وكان ذلك منه تعجباً من حال الرجل وسروراً من حسن توسله وتلطفه للوصول إلى مقصوده .

(٤) إذا كنت تحب الله فتمسك بسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وإلا فإن محبتك كاذبة غير حقيقية ؛ قال تعالي : " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٣١} قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ " [آل عمران :٣١-٣٢]

(٥) التنبيه علي أن وظيفة المسلم في الحياة هي تحقيق العبودية لله باتباع أوامره واجتناب نواهيه في كل جزئية من جزئيات الحياة صغرت أم كبرت ، وعلي ذلك فلاخير في أي عمل يعطل المسلم عن هذه الوظيفة العظيمة.

قال تعالي : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " [الذاريات : ٥٦]

فاصبر علي طاعة الله وأبشر يا أخي، فكل تعب ونصب لقيته في الدنيا، سيصبح لا أثر له إذا كنت من أهل الجنة وهذه البشرى من رسول الله صلي الله عليه وسلم : روى مسلم عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :" يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل

رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ وهل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط. "

وتذكر أيضًا ياأخي قول النبي صلي الله عليه وسلم : «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» المراد: من خشي اللهّ أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر، ولم لا يشمر المسلم في طاعة الله وسلعة الله الجنة رفيعة القدر فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر.

(٦) سنة النبي صلي الله عليه وسلم القولية منها ما هو واجب الفعل (الفرض) أو واجب الترك (الحرام) ومنها ما هو مستحب وليس كما هو شائع عند عوام الناس أن السنة بمعني المستحب فقط وبيان ذلك كما يلي :

١ – الواجب أو الفرض هو : ما طلب الشارع فعله علي سبيل الحتم والإلزام يثاب فاعله امتثالاً ويستحق تاركه العقاب.

مثال : قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: « قصوا الشوارب وأعفوا اللحى، خالفوا المشركين » متفق على صحته، ورواه البخاري في صحيحه بلفظ: « قصوا الشوارب ووفروا اللحى، خالفوا المشركين » ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «

جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس » ، وهذا اللفظ في الأحاديث المذكورة يقتضي وجوب إعفاء اللحى وإرخائها وتحريم حلقها وقصها؛ لأن الأصل في الأمر هو الوجوب وهو المعتمد عند أهل العلم – ما لم تدل قرينة علي صرفه عن الوجوب – والأمر بإعفاء اللحية لم تدل قرينة على صرفه عن الوجوب، بل إن معه قرائن تؤكد الوجوب، منها التعليل الوارد في الحديث وهو أن في ذلك مخالفة للمشركين، ومخالفة المشركين فيما يختصون به واجبة، ومنها تكرير الأمر الوارد في ذلك وتنوع صيغه مما يدل على تأكيده، ومنها فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الاستمرار والمداومة، وقد قال الله سبحانه: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ، وقال عز وجل: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

٢- الحرام هو : ما طلب الشارع تركه علي سبيل الحتم والإلزام يثاب تاركه امتثالاً ويستحق فاعله العقاب .

مثال : روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " اجتنبوا السبع الموبقات " ، قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : " الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات "

٣- المستحب أو المندوب هو : ما طلب الشارع فعله لا علي سبيل الحتم والإلزام يثاب فاعله امتثالاً ولا يعاقب تاركه.

وسأتعرض لهذا المبحث بشئ من التفصيل عسي أن يزول الالتباس الحاصل عند الناس بفضل الله تبارك وتعالي ، فأقول وبالله التوفيق :

* صيغ المستحب :

١. كلُّ صيغَةِ أمرٍ قامَ بُرهانٌ على عدَمِ الإلزامِ بها ، لأَنَّهُ كما تقدَّم في (الواجبِ) أنَّ صيغَةَ الأمر دالَّةٌ على الوجوبِ فإذا قامَ بُرهانٌ على إرادَةِ مجرَّدِ الاستحباب صُرِفتْ دلالَةُ تلكَ الصِّيغَةِ إلى المستحب.

روي أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٣٧٩١] عن عبد الله المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " صلوا قبل المغرب ركعتين صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء "

قوله : " لمن شاء " هي القرينة التي صرفت الأمر من الوجوب إلي الاستحباب

٢. كل صيغة خبرية تضمنت الحث وليست مؤولة بمعني الأمر مثل :

أ- صيغ الترغيب

مثال : روي البخاري والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القرآن و علمه "

ب- في حالة ذكر الثواب

مثال١ : روي ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٦١٢٨]
عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :
" من بنى لله مسجدًا و لو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتًا في الجنة "
مثال٢ : روي مسلم عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :
" ما من عبد مسلم توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى لله في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة "
اعلم أخي الكريم أن السنن الرواتب قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها ورغب فيها وحث عليها، إلا أن نصوصاً صريحة دلت على أنها غير واجبة، منها حديث طلحة بن عبيد الله في الصحيحين في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الإسلام، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بالصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة، فقال له الرجل: هل عليّ غيرها؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، إلا أن تطوع". وهذا صريح في أن الأمر بنوافل الصلوات لم يكن على سبيل الوجوب.
* ملاحظة مهمة جداً : ليس معني أن المستحب لا يعاقب تاركه أن يفرط المسلم فيه فلعل هذه السنن المستحبة تكون سبباً في نجاته يوم القيامة ويشهد لذلك ما رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني عن أنس بن حكيم الضبي قال : قال لي أبو هريرة : إذا أتيت أهل مصرك فأخبرهم أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن

أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك "

٤- المكروه هو : ما طلب الشارع تركه لا علي سبيل الحتم والإلزام يثاب تاركه امتثالاً ولا يعاقب فاعله وإن كان ملوماً

مثال : روي أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

" أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء و إن كان محقا "

في هذا المثال حثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ترك المراء (الجدال) بذكر الثواب علي تركه ولم يدل دليل (صيغة أمر بالترك) علي أن هذا الترك واجب .

ملاحظة مهمة جداً : ليس معني أن المكروه لا يعاقب فاعله أن يتساهل المسلم بفعله لأن ذلك قد يكون ذريعة إلي ارتكابه للمحرمات وينبغي لكل مسلم أن يعلم أنه ما من توجيه نبوي إلا وفيه الخير له في الدنيا والآخرة .

(٧) أفعال النبي صلي الله عليه وسلم علي أنواع وكل نوع له حكمه الخاص ويمكن بيان ذلك علي النحو التالي :

١ -أفعال جبلية تصدر عنه بحكم الطبيعة البشرية:

وذلك مثل المشي والسفر والإقامة والأكل والشرب والنوم ونحو ذلك مما جرى فيه الحالُ النَّبويُّ على مُقتضى الطَّبع البَشرِيِّ، أو على مجارَاةِ العُرفِ الَّذي لم يُخالفُ الدِّين، ومنهُ ما يحبُّهُ أو يكرهُهُ طبعًا، كحبِّه للحُلوِ البارد، وكراهتِهِ لأكلِ الضَّبِّ مع أنَّه أُكلَ علي مائدَتِهِ. وهذا القسم مباح ، لأن ذلك لم يقصد به التشريع ، لكن لو تأسى به متأسٍ فلا بأس بذلك ويثاب على قصد التأسي.

٢-الخصائص النبوية :

وهي ما وقع من الأفعال مقصوداً بها التعبد لكن قام دليل علي اختصاصها به صلي الله عليه وسلم مثل : وصل الصيام والزيادة في الزواج علي أربع نساء وهذا القسم يحرم فيه التأسي به.

٣-الفعل التطبيقي :

وهو ما وقع من الأفعالِ امتثالاً منهُ – صلى الله عليه وسلم – لما أُمرَ به كسائرِ أُمَّتِه، مثلُ إقامتهِ الصَّلاة وصومِهِ رمضانَ وحجِّه البيتَ، ونحوهَا، فهذه أفعالٌ تساوَى فيها مع غيرِهِ من المكلَّفين قصِدَ بها الامتثالُ.

٤- أفعال يقصد بها بيان التشريع:

كأفعال الصلاة والحج وغيرهما ، وحكم هذا القسم تابع لما بينه فإن كان المبين واجباً كان الفعل المبين له واجباً وإن كان مستحباً فمستحب .

٥- الفعل المجرد :

وهو ما وقع من الأفعالِ ابتداءً، وليس هو بواحدٍ ممَّا تقدَّم، فهذا قسمانِ:

[أ] ما ظهرَ فيه قصدُ القُربةِ، كصلاةِ التَّطوع وصدقةِ التَّطوُّع، ونحو ذلك، فلوُضُوح معنى القُربَةِ فيه فهو تشريعٌ عامٌّ، قال الله عزّ وجلَّ: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١].

[ب] ما لم يظهر فيه وجهُ القُربة، فغايتُهُ أن يكونَ متردِّدًا بين عبادةٍ وعادةٍ، فمفادُه على أقلِّ تقديرٍ إباحةَ ذلكَ الفعلِ للأمَّةِ حيثُ أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فعلهُ، و(الإباحةُ) تشريعٌ.

مثالهُ: في الصَّحيحينِ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - نزل المُحصَّبَ (وهو اسمُ موضعٍ بين مكَّة ومِنى وإلى منَى أقرب، ويُسمَّى الأبْطَحُ)، فاختلفَ الصَّحابة في هذا النُّزولِ: هل هو تشريعٌ أو ليس كذلك، فكانَ عبدُالله بنُ عمرَ رضي الله عنهما يراهُ سُنَّةً، وكان عبدُالله بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يقولُ: (ليسَ التَّحصيبُ (أي: نُزول المُحصَّبِ) بشيءٍ، إنما هو منزلٌ نزلَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكانتْ عائشةُ رضي الله عنها تُوافقُ ابنَ عبَّاسٍ فتقولُ: (نزولُ الأبطحِ ليسَ بِسُنَّةٍ، إنَّما نزلهُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنَّه كان أسمَحَ لخُروجِه إذا خرجَ)

(٨) التأكيد على التفريق بين أحكام الدين في الجهاد بشروطه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء بضوابطهما الشرعية، وبين التشدد والغلو والتطرف الذي يحدث باسم هذه الأصول الشرعية العظيمة؛ لأن الخلط وتجاوز هذه الأصول من قبل

البعض، والتنكر لها من بعض وسائل الإعلام والكتَّاب يؤدي إلى استفزاز الناس، ويتذرع به أهل الفتنة والغلو.

(٩) التلطف في دعوة الناس والالتزام بمنهج النبي صلي الله عليه وسلم في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة مع الحرص علي البدء بالأهم فالمهم .

قال تعالي : " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " [النحل : ١٢٥]

(١٠) يجب أن ندعو الناس إلي اتباع السنة واجبها ومستحبها وليس لنا أن نلزمهم بالمستحبات.

روي البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خمس صلوات في اليوم والليلة " . فقال : هل علي غيرهن ؟ فقال : " لا إلا أن تطوع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام شهر رمضان " . قال : هل علي غيره ؟ قال : " لا إلا أن تطوع " . قال : وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال : هل علي غيرها ؟ فقال : " لا إلا أن تطوع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفلح الرجل إن صدق "

(١١) كثير من المسلمين يري التمسك بالسنة تشددًا لأنهم يسبحون في بحار الشهوات ويتساهلون في ارتكاب المحرمات ويفرطون في أداء الواجبات لذا يجب علي كل عالم وداعية أن يبين لهم عاقبة هذا الطريق المظلم الذي يتخبطون فيه ، وما واقعة تسونامي عنا ببعيد، فقد أهلك الله تعالى مئات الآلاف في دقائق معدودة نسأل الله تعالى العفو والعافية.

إن ما أصاب ثماني دول في زلزال تسونامي أولى بنا أن نفسره على أن هذا جزاء ما اقترفت أيدي الناس من استحلال للربا والخمر والزنا والحرب على كتاب الله واتخاذ آيات الله هزوًا فكان كما قال ربنا : " وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً {٨} فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً " {الطلاق: ٨، ٩}.

إن كثيرًا من المنكرات تُرتكب باسم الفنون والآداب والحداثة والعصرية من خلال وسائل الإعلام والسياحة والتي يتمكن فيها العلمانيون فيشوشون على أهل الإيمان إيمانهم، وما نجم عن هذا الزلزال المدمر من هلاك وإبادة لمدن بأسرها فيها الصالح والطالح هو من سنن الله تعالى كما روى البخاري في صحيحه أن زينب بنت جحش رضي الله عنها سألت رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : "نعم ، إذا كثر الخبث".

فسر الحافظ ابن حجر (الخبث) بالزنا وبأولاد الزنا وبالفسوق والفجور.

روي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحد أَغْيَرَ من الله ، من أَجل ذلك حرَّمَ الفواحشَ مَا ظهرَ منها وما بَطَنَ " ، ولعل انتشار سياحة الجنس في هذه البقاع والاستعلان بالفاحشة أدى إلى هذا الدمار الهائل والذي لم يقف عند محل الزلزال وإنما تعداه إلى أماكن بعيدة .

قال تعالى : " وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " {الأنفال :٢٥}.

(١٢) الإسلام لم يأت بالتشدد وإنما جاء باليسر والتوسعة علي الناس .

قال تعالي : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [الأعراف : ١٥٧]

فأمة النبي محمد صلي الله عليه وسلم رفع الله عنها التكاليف الشديدة التي كلفت بها الأمم من قبلنا كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتمًا من القاتل عمدًا كان القتل أم خطأً.

بعض الناس يظن أن الإسلام قد ضيق عليه لمجرد أنه مأمور بعدم سماع الموسيقي وعدم النظر إلي النساء وهذا الظن خاطئ تماماً لا يقوم علي قدم ولا ساق وسأثبت لكم ذلك بفضل الله تبارك وتعالي :

- لو أردنا أن نعد الأشياء التي حرم الله أكلها فلن نستطيع أن نصل إلي خمسة : لحم الخنزير، الميتة ، كل ذي ناب من السباع ، كل ذي مخلب من الطير انتهي. أعطوني الأشياء التي أحل الله أكلها : الخبز، الأرز، الكعك، أنواع الخضروات ، أنواع الفواكه، لحم البقر ، الدجاج ، البط ، الأرانب ... لو ذهبنا نعد لاحتجنا ساعات طويلة لننتهي ؛ إذاً الشرع ما ضيق عليك شيئاً في الطعام إلا وفتح لك آلاف الأبواب في الحلال .

- لو أردنا أن نعد الأشياء التي حرم الله شربها : الخمر والدم ، انتهي .

اذكروا لي الأشياء التي أحل الله شربها : عصير المانجو ، عصير الفراولة ، الكركديه ، الينسون ، اللبن ... قائمة طويلة من الصعب أن ننتهي منها .

- لو أردنا أن نعد الأشياء التي حرم الله لبسها علي الرجال : الذهب والحرير فقط في حين أن كل أنواع الأقمشة حلال .

- أنا أدعو أصحاب الشهوات إلي امتثال أمر الله ، ووالله ، إن لامتثال أمر الله حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها .

والحقيقة التي لا تقبل الجدل هي أن الله وسع علي الناس وما ضيق عليهم أبداً كما يتوهم بعض الناس الذين يتبعون أهواءهم ويسيرون وراء شهواتهم .

(١٣) بيان الرخص الشرعية للناس مثل قصر الصلاة في السفر وجواز الفطر للمسافر والمريض في رمضان وجواز صلاة المريض في بيته وهذا باب عظيم يبعث في النفوس الهدوء والراحة .

- روي أحمد وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ١٨٨٦]
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته "

- روي مسلم عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : إنما قال الله تعالى (أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد أمن الناس .

قال عمر : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته "

- روي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم أصوم في السفر وكان كثير الصيام . فقال : " إن شئت فصم وإن شئت فأفطر "

- قال تعالي : " أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "

- رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرض لم يحضر صلاة الجماعة في المسجد وقال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس" رواه البخاري ومسلم

قَالَ ابن المنذر : ولا أعلم اختلافاً بَيْن أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عَن الجماعات من أجل المرض .

(١٤) إذا رأيت الشدة في أمر شرعي ما فاعلم أن هذه الشدة تحمل في طياتها اليسر والسهولة والرحمة .

ذكر الشيخ أبو داود – حفظه الله – أن رجلاً دأب علي الهجوم علي الشريعة الإسلامية حتى أنه وصف حد السرقة بالقسوة والغلظة والعنف .

وذات يوم أوقف ذلك الرجل سيارته أمام أحد المتاجر ونزل منها ليشتري بعض الأشياء وبعد أن انتهي عاد إلي مكان سيارته وإذا بها قد اختفت فعلم أنها قد سرقت خلال وجوده داخل المتجر فوقف متحسراً وقال : لا تقطعوا يد السارق ولكن اقطعوا السارق نفسه من وسطه .

فما أرحمك يا رب العالمين شرعت قطع يد السارق ليس من المنكب وليس من المرفق ولكن من الرسغ حتى يأمن الناس علي أموالهم وممتلكاتهم ورحمةً بالسارق نفسه حتى لا تعذبه بهذا الذنب في النار .

وختاماً، هل من يقظة يا شباب الإسلام! ترشد إلى المُثُل العليا، وتُبعد عن سفاسف الأخلاق ومساوئ الأعمال؟

هل من توبة نصوح يغفر الله لنا بها الذنوب والخطايا ويرفع عنا بها المصائب والبلايا ؟

هل من عودة صادقة يا أمة الإسلام! إلى خلق الإسلام في حياتنا بكل جوانبها؟

هذا هو الرجاء والأمل، وعلينا الصدق والعمل ، والله المستعان .

الفصل الثالث

قضية التعامل مع الشائعات

تمهيد

يقول أصحاب بروتوكولات حكماء صهيون :

((سنولي عناية كبري بالرأي العام إلي أن نفقده القدرة علي التفكير السليم ، ونشغله حتي نجعله يعتقد أن شائعاتنا حقائق ثابتة ونجعله غير قادر علي التمييز بين الوعود الممكن إنجازها والوعود الكاذبة فلابد أن نكون هيئات يشتغل أعضاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التي تغدق الوعود ولابد أن نبث في الشعوب فكرة عدم فهمهم للسياسة وخير لهم أن يدعوها لأهلها.))

ويقولون أيضاً : ((إن كلمة الحرية تدفع الجماهير إلي الصراع مع الله ومقاومة سنته فلنشعها هي وأمثالها إلي أن تصبح السلطة في أيدينا.))

ويقولون أيضاً : ((لابد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوي لتتصارع ، وجعل السلطة هدفاً مقدساً تتنافس كل القوي للوصول إليه ، ولابد من إشعال نار الحرب بين الدول بل داخل كل دولة ،عند ذلك تضمحل القوي وتسقط الحكومات وتقوم حكومتنا العالمية علي أنقاضها.))

لقد أردت أن أبدأ هذا البحث بعرض بعض مقولات أصحاب بروتوكولات حكماء صهيون حتى يشعر القارئ بمدي خطورة هذا الموضوع فالشائعات قد لا تهلك فرداً فحسب بل تسقط دولاً كاملة ، وتنهار علي إثرها مجتمعات كانت مستقرة.

فما هي الشائعات؟ وما هو تاريخ الشائعات؟ وما هي أسباب انتشار الشائعات؟ وما هي الآثار السيئة للشائعات علي المجتمع الإسلامي؟ وما هي الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية الشائعات؟

أسئلة كثيرة تفرض نفسها وأرجو من الله التوفيق في الإجابة عليها.

تعريف الشائعة

- الشائعة لغةً : مصدر أشاع ، وأشاع ذكر الشئ : أطاره وأظهره ، وشاع الخبر في الناس شيوعاً أي : انتشر وذاع وظهر

- الشائعة اصطلاحاً : هي تلك المعلومات أو الأفكار التي يتناقلها الناس دون أن تكون مستندة إلي مصدر موثوق به يشهد بصحتها ، أو هي الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع ، أو يحتوي جزءً ضئيلاً من الحقيقة.

تاريخ الشائعات

منذ فجر التاريخ والشائعات تنشب مخالبها في جسد العالم كله ، فحتى الأنبياء – عليهم الصلوات والسلام – لم يسلموا من تلك الشائعات التي تريد النيل منهم والصد عن سبيل الله وصرف الناس عن دعوة الهدي والإيمان ومن أمثلة تلك الشائعات :

(١) هذا نوح – عليه السلام – اتُهم بإشاعة من قومه بأنه : " يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ " [المؤمنون: ٢٤] ، فيتزعم ويتأمر ، وقيل له" إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ "[الأعراف:٦٠] وليس هذا فحسب ، بل اتهم قوم نوح نوحاً والمؤمنين معه بالكذب ؛ قال تعالي :

" فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ " [هود : ٢٧]

(٢) وهذا نبي الله هود – عليه السلام – يشاع عنه الطيش والخفة والكذب كما قال تعالي : " قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ " [الأعراف:٦٦]

(٣) وهذا موسي – عليه السلام – يحمل دعوة ربه إلي فرعون وقومه ، فما كان من فرعون إلا أن انطلقت من فمه الشائعات عن موسي – عليه السلام – كالسم الزعاف متهماً موسي عليه السلام بأنه ساحر ؛ قال تعالي : " قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ{٣٤} يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " [الشعراء: ٣٤ ، ٣٥]

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل اتهم موسي عليه السلام بالإفساد في الأرض ؛ قال تعالي : " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " [غافر : ٢٦]

(٤) وأما بالنسبة للنبي محمد صلي الله عليه وسلم ، فلم تسلم دعوته المباركة من الشائعات أيضاً ، فرمي بالسحر والجنون والكذب والكهانة وتفنن الكفار والمنافقون في صنع الأراجيف الكاذبة والاتهامات الباطلة ضد دعوته صلي الله عليه وسلم ، ولعل من أخطر تلك الشائعات : حادثة الإفك .. تلك الشائعة المغرضة التي أطلقها رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول لينال من عرض النبي صلي الله عليه وسلم ويتهمه في أحب الناس إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها برجل من كرام الصحابة هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل رضي الله عنه ، وقد شغلت هذه الفرية مجتمع المسلمين شهراً كاملاً ، وأحدثت في نفس النبي صلي الله عليه وسلم آلاماً شديدة حتى جاء الفرج من الله ونزلت آيات بينات لتضع حداً لتلك المأساة الفظيعة ، وتوضح المنهج الذي يجب علي المسلمين اتخاذه حيال تلك الشائعات المغرضة ؛ قال تعالي :

" لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ " [النور : ١٢]

إلي قوله جل وعلا : " وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ{١٦} يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " [النور : ١٦-١٧]

(٥) بعد عهد النبي صلي الله عليه وسلم ، كانت الشائعة السبب الأول والرئيس في قتل الخليفة الراشد المهدي عثمان بن عفان - رضي الله عنه – إذ تجمع أخلاط من المنافقين ودهماء الناس وجهلتهم وحاصروا الخليفة في بيته وقطعوا الماء عنه ثم دخلوا عليه وقتلوه .

وكان من آثار هذه الفتنة ظهور أهل البدع كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية الأولي ، وانتشرت الفتن والقلاقل وامتد أثر ذلك إلي يومنا هذا.

(٦) يمثل عصرنا الحاضر عصراً ذهبياً لتطور ورواج الشائعات المغرضة بعد أن أصبح العالم - عن طريق وسائل الاتصالات والمواصلات – بمثابة قرية صغيرة .

فمئات القنوات الفضائية والصحف المحلية والعالمية وآلاف المواقع علي الشبكة العنكبوتية ما إن تتناول شائعة ما حتى تسري في الناس مسري الهواء فيرددونها كالببغاوات دون أن يدركوا أنهم ألعوبة في أيدي أعدائهم وهم لا يشعرون .

أسباب انتشار الشائعات

الأسباب التي تجعل الأخبار المكذوبة تشيع وتحل محل الحقائق في أذهان كثير من الناس بدون تفكير أو تدبر أسباب عديدة منها :

(١) فصاحة قول المشيع وحسن منطقه ، وإجادته عرض الشائعة ، وهذا من أسباب رواج شائعات المنافقين بين الناس ، ولهذا قال الله عز وجل في وصف المنافقين : " وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ " [المنافقون : ٤]

- روي أحمد وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ١٠١٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

" إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان. "

- روي البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»

قال الشاعر : في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير

(٢) كون المشيع ممن تميل إليه قلوب سامعيه ، إما بسبب الصحبة أو التحزب أو التمشيخ أو غير ذلك وهذا يمنع السامع من البحث والنظر فيما ينقل إليه .

وإحسان الظن لدرجة الغفلة وعدم التثبت سذاجة تدفع بعض الناس أن يردد مايقوله الناس كالإمعة الذي لا يدري ما يقول! وقد جاء في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد النخعي قوله : ((الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم علي سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلي ركن وثيق .

(٣) موافقة الخبر هوي في نفس السامع ، كأن يري في هذا الخبر انتصاراً لنفسه وفئته ، أو تقليلاً من قدر الفئات الأخرى وهذه ظاهرة خطيرة تفتك بالقلوب وتمزق وحدة الصفوف.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالي : " فإن تجرد النفس يطلعها علي علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد. "

قال تعالي : " وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " [القصص : ٥٠]

(٤) أن ينطوي موضوع الشائعة علي شئ من الأهمية بالنسبة للمتحدث والمستمع.

(٥) أن تتسم الوقائع الحقيقية بشئ من الغموض.

(٦) غفلة جمهور المسلمين وعدم مبالاتهم تجاه مخططات الأعداء رغم أنها تستهدف وجودهم نفسه نتيجة لعدم امتلاكهم منهجاً سليماً للتعامل مع الشائعات موافقاً للضوابط الشرعية.

(٧) عدم التزام المسلمين – إلا من رحم الله – اليوم بأخلاقيات الإسلام والآداب الشرعية عند سماع الشائعات فتظل الشائعة تنتقل من لسان إلي لسان دون وعي منهم بخطورة ما يفعلونه.

(٨) اتخاذ الكذب حرفة يتكسب منها ضعاف النفوس فيَفسدون ويُفسدون.

روي أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٣٦٧٠] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر من الأرض. "

وجه الشبه بين هؤلاء القوم والبقر أنهم لايميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام كما لاتميز البقرة في رعيها بين رطب ويابس وحلو ومر بل تلف الكل.

(٩) الفراغ ؛ حيث يشغل الفارغون البطالون أوقاتهم بالقيل والقال ، ويصبح جل همهم البحث والتنقيب في أحوال الناس.

- روي البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ "

(نعمتان) تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة وقيل هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى غيره. (مغبون) من الغبن وهو النقص وقيل الغبن هو ضعف الرأي. (الصحة) في الأبدان. (الفراغ) عدم ما يشغله من الأمور الدنيوية.

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ "

الآثار السيئة للشائعات علي المجتمع الإسلامي

(١) قطع أواصر القرابة وصلة الرحم : فكم من العائلات التي كانت تعيش حياة هادئة مستقرة تربط بين أفرادها المحبة والود ثم جاءت الشائعات لتفرق بينهم حتي فرقت بين أفراد البيت الواحد.

(٢) زرع بذور الفتنة والوقيعة بين الناس.

قال تعالي : " وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ " [البقرة : ١٩١]

قال تعالي : " وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ " [البقرة : ٢١٧]

والفتنة أكبر من القتل لأن القتل يقع علي نفس واحدة لها حرمة مصانة ، أما بالفتنة – التي هي نتيجة حتمية للشائعات – فيهدم بنيان الحرمة ليس لفرد فحسب ، وإنما لمجتمع بـأسره.

(٣) تحول المجتمع إلي غابة يفتك القوي فيها بالضعيف فيغيب الأمن وينتشر الرعب بين الناس.

(٤) الشائعات تفتح باباً واسعاً للجدل ، والجدل آفة خطيرة تؤدي إلي انتشار البغضاء والكراهية بين الناس.

روي أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع – حديث رقم ٥٦٣٣ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل "

(٥) القضاء علي وحدة المسلمين.

قال تعالي : " لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ " [التوبة : ٤٧]

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : " ثم بين تَعَالَى وَجْهَ كَرَاهِيَتِهِ لِخُرُوجِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً} أَيْ لِأَنَّهُمْ جُبَنَاءُ مَخْذُولُونَ {ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أَيْ وَلَأَسْرَعُوا السَّيْرَ وَالْمَشْيَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْفِتْنَةِ، {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أَيْ مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمُسْتَحْسِنُونَ لِحَدِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ يَسْتَنْصِحُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي إِلَى وُقُوعِ شَرٍّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَسَادٍ كَبِيرٍ."

(٦) سفك الدماء وضياع الحدود.

- روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ "

- روي الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع – حديث رقم ٣٦١٦ عن خالد بن عرفطة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل "

(٧) الحرمان من العلم والخير.

قال قيس بن الربيع – رحمه الله – : [قدم علينا قتادة بن دعامة الكوفة ، فأردنا أن نأتيه فقيل لنا : إنه يبغض علياً – رضي الله عنه – فلم نأته. ثم قيل لنا بعد : إنه أبعد الناس من هذا ، فأخذنا عن رجل عنه.]

فانظر كيف جر عدم التثبت من هذه الشائعة إلي تضييع الاستفادة من علو إسناد هذا التابعي الجليل وغزارة حفظه.

(٨) استحقاق العذاب الأليم في الدنيا والآخرة .

قال تعالي : " إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " [النور : ١٩]

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : [هذا تَأْدِيبٌ ثَالِثٌ لِمَنْ سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْكَلَامِ السيء فقام بذهنه شيء منه وتكلم به، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُواْ} أَيْ يَخْتَارُونَ ظُهُورَ الْكَلَامِ عَنْهُمْ بِالْقَبِيحِ {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا} أَيْ بِالْحَدِّ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ {وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} أَيْ فَرُدُّوا الأمر إليه ترشدوا]

الضوابط الشرعية للتعامل مع الشائعات

(١) تذكير الناس بضرورة الالتزام بفضيلة الصدق لأن الصدق يجعل صاحبه يتورع ويترفع – بدافع إيمانه – عن ترديد كل مايقال حتي لايدخل في دائرة الكذب المذموم.

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَّ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ " [التوبة : ١١٩]

- روي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»

- روي أحمد والترمذي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٣٣٧٨) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة» .

(٢) التنبيه علي خطورة الكذب من خلال النصوص الشرعية.

- قال تعالي : " إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِّ وَأُوْلـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ "

[النحل : ١٠٥]

- قال تعالي : " إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ " [غافر : ٢٨]

- روي أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٢٨٤٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «بئس مطية الرجل زعموا» .

- روي أبو داود والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٦١٩٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج"

ردغة الخبال هي : عصارة أهل النار

- روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» .

- وفي رواية عند أبي داود والحاكم وصححها الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٤٤٨٠) : «كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمع» .

- روي البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

«إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ ..... »

ثم ذكر الحديث ، وكان مما قال صلي الله عليه وسلم : « فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» ثم جاء خبر ذلك الرجل في آخر الحديث حيث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ » قَالاَ لِي: « أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.....، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ »

(٣) التعامل مع جميع وسائل الإعلام وفق منهج الإسلام المتمثل في طريق أهل الحديث رضي الله عنهم في التعامل مع الأخبار والذي يتضمن الآتي :

١ – معرفة رواة الخبر حتي نصل إلي المصدر الأصلي الذي صدر منه الخبر : فما أكثر الناس الذين يلوكون الأخبار بألسنتهم حتي إذا سألتهم : من أين لكم هذه الأخبار؟! أسقط في أيديهم ، وتلعثمت ألسنتهم ، وتباطأت كلماتهم ، ولم يجدوا جواباً مقنعاً – حتي لأنفسهم – لأن هذه الأخبار في الحقيقة مجرد أوهام تجمعت من هنا وهناك.

فهذا الخبر – الذي لاندري مَن نقله إلي مروجيه وربما لانعرف حتي منبعه الأصلي – يسميه علماء الحديث منقطعاً ، والخبر المنقطع ضعيف باتفاق العلماء وذلك للجهل بحال الراوي المحذوف.

٢ – التثبت من عدالة رواة الخبر.

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " [الحجرات : ٦]

ولكن من هو الفاسق الذي أمرنا الله بالتثبت من خبره ؟

الفاسق هو : المسلم المرتكب لكبيرة أو المصر علي صغيرة من نوع واحد أو علي صغائر مختلفة ، وضابط الإصرار علي الصغيرة هو : الإقدام علي الذنب مع العزم علي معاودته ثم تكراره بناءً علي هذا العزم السابق. وسمي فاسقاً لخروجه عن أمر الله وطريق طاعته.

إن المتأمل لمعظم وسائل الإعلام الحالية يجد أن القائمين عليها يدورون بين فاسق كمذيعة متبرجة وعلماني متطرف يصرح بأنه لادين في السياسة ولا سياسة في الدين أو كافر أو مبهم .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : " فأما المبهم الذي لم يسم اسمه أومن سمي ولا تعرف عينه فهذا مَن لا يقبل روايته أحد علمناه "

ذات مرة ، دار بيني وبين أحد الناس حوار عن أمر ما فقال: ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن كذا قد حدث.

قلت له : مَن أثبت ذلك ؟ قال : اذهب إلي النت وستعرف صدق ما أقول .

قلتُ : هذا هو المبهم الذي لا أحد يدري عينه ولا عدالته الظاهرة ولا الباطنة ، وحكم خبر المبهم أنه ضعيف لا يعتد به .

أما خبر الفاسق فيسمي خبراً منكراً عند أهل الحديث وهو ضعيف مردود أيضاً ، وخبر الكافر مردود من باب أولي.

فلا نقبل إلا رواية العدل ، والعدل هو مَن له ملكة تحمله علي ملازمة التقوي والمروءة.

فالتقوي هي معيار التفاضل في الإسلام في قبول الأخبار وفي غير ذلك والأدلة علي ذلك كثيرة منها :

قال تعالي : " أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ " [ص : ٢٨]

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " [الحجرات : ٦]

دلت الآية الكريمة بمنطوقها علي وجوب التثبت من خبر الفاسق ودلت بمفهومها علي وجوب قبول خبر العدل .

قال تعالي : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ " [الحجرات : ١٣]

قال تعالي : " أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ{٣٥} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ " [القلم: ٣٥-٣٦]

روي أحمد وأبو نعيم وصححه الألباني في الصحيحة (حديث رقم ٢٧٠٠) أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " يا أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى * (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) *، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فيبلغ الشاهد الغائب ".

٣- التثبت من ضبط الرواة وإتقانهم : فكما ننظر إلي عدالة الرواة وأمانتهم ، لابد أن ننظر إلي ضبطهم وإتقانهم ، فقد يكون الراوي قد بلغ الغاية في التقوى والورع لكنه لم يرزق علماً وفهماً يمكنه من تمييز صحيح الخبر من سقيمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالي - : " وكثير من الناقلين ليس قصده الكذب ، لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم ، وسائر ما يعرف به مرادهم قد يتعسر علي بعض الناس ويتعذر علي بعضهم "

فمن الناس من يسمع الخبر ثم ينقله علي غير وجهه ، ليس من باب الكذب والخيانة ، ولكنه لم يستطع أن يفهم الكلام علي وجهه الصحيح ، فالله جل وعلا لم يرزقه حسن الفهم والتيقظ ولهذا تراه يقول الناس ما لم يقولوا ويحمل كلامهم مالا يحتمل .

٤ – إذا نقل العدل الضابط الثقة خبراً مخالفاً لمن هو أوثق منه ، فحينئذ يرد خبر الثقة ويحكم علي الخبر بالشذوذ لأن خبر الأوثق – حينئذ – أولي بالقبول.

٥- إذا كان في الخبر علة قادحة تمنع الاطمئنان إلي صحته وقبوله فيرد الخبر في هذه الحالة.

العلة القادحة هي : سبب قادح مؤثر في الحديث مع أن ظاهر الحديث السلامة .

مثال: قبل نشوب معركة العقاب – وهي من المعارك الفاصلة في تاريخ الأندلس – بين جيش المسلمين بقيادة أبي عبد الله الناصر لدين الله وجيش النصاري بقيادة ألفونسو الثامن ، حاصر جيش النصارى قلعة حصينة من قلاع المسلمين تسمي قلعة رباح ، وقد حاول قائدها

أبو الحجاج يوسف بن قادس الدفاع عنها ، لكن النصارى ضيقوا الخناق عليها جداً حتي اضطر أبو الحجاج إلي أن يفاوض النصارى وانسحب بجنوده وترك القلعة ، وهنا أوغر وزير دولة الموحدين أبو سعيد بن جامع صدر السلطان أبي عبد الله الناصر لدين الله علي أبي الحجاج يوسف بن قادس متهماً إياه بالتقصير والتخاذل فأمر السلطان بقتل يوسف بن قادس ، وكان لهذا الفعل أثر سئ علي الجيش الإسلامي كله ولاسيما علي جند الأندلس ، ذلك بأنهم يعلمون أن ابن قادس قد بذل كل المستطاع ، وأن قتله لم يقع إلا بتحريض من الوزير الذميم. وكان هذا الحدث أحد أسباب هزيمة المسلمين أمام النصاري في موقعة العقاب ، وكانت تلك الهزيمة هي بداية النهاية للمسلمين في الأندلس.

التعليق : في هذه القصة ، نقل الوزير أبو سعيد بن جامع خبراً ظاهره الصحة إلي السلطان الناصر لدين الله عن تقصير وتخاذل أبي الحجاج يوسف بن قادس ، وكانت هناك علة قادحة في الخبر وهي سيرة هذا البطل المجاهد وما بذله للإسلام والمسلمين في سبيل الدفاع عن قلعة رباح ، لكن السلطان الناصر لدين الله أعماه الغضب عن إدراك ذلك وقام بقتل هذا البطل.

(٤) عدم الاستماع إلي أهل البدع والأهواء ، وعدم الاعتماد علي أن العقل يستطيع أن يميز صحيح الخبر من ضعيفه لأن القلوب ضعيفة والشبه خطافة كما قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالي ، وعلي ذلك ينبغي علي كل مسلم أن يقاطع وسائل الإعلام العلمانية والكافرة سواءً كانت صحف أو قنوات فضائية أو مواقع علي الشبكة العنكبوتية ولا يغتر بعقله القاصر أبداً ، وهذا منهج قرآني ونبوي والأدلة علي ذلك :

١ – قال تعالي : " وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً " [النساء : ١٤٠]

كم سمعتم يا إخواني من قائل يقول : الإسلام في المسجد ولا شأن له بالسياسة ، وآخر يقول : كيف تحكم شريعة الإسلام – التي نزلت في القرن السابع الميلادي – الناس في القرن الحادي والعشرين ، وثالث يسخر من القرآن واللحية والحجاب ، ومع ذلك جلستم تستمعون إليهم وتنتظرون برامجهم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- قال تعالي : " وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " [الأنعام : ٦٨]

٣- روي البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تبتاعَ مِنْهُ وإِمَّا أَن تجدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثيابَكَ وإِمَّا أَنْ تجدَ مِنْهُ ريحًا خبيثةً» .

٤- روي البخاري ومسلم أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»

(خير) أي أكثر سلامة وأقل شرا. (الساعي) اسم فاعل من السعي وهو العدو والإسراع في السير وهو تشبيه لمن يشارك في الفتن ويجتهد في إثارتها. (يشرف لها) من الإشراف وهو الانتصاب للشيء والتعرض له والتطلع إليه. (تستشرفه) تغلبه وتصرعه وتهلكه. (ملجأ) موضعا يلتجيء إليه ويحمي نفسه فيه من الفتن. (معاذاً) بمعنى الملجأ]

وقد كان هذا المنهج القرآني والنبوي واضحاً بشكل جلي عند السلف الصالح فمن ذلك :

- قال ابن عباس رضي الله عنهما:(لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب)

- قال أبو قلابة التابعي الجليل رحمه الله : (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.)

أما من حاد عن هذا المنهج وعرض نفسه للفتن والأهواء فقد وقع في الزلل ومن ذلك :

- قال أبو بكر بن العربي عن شيخه أبي حامد الغزالي - وكان من أذكياء العالم - :

(شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع.)

- كان عمران بن حطان من علماء أهل السنة لكنه تزوج خارجية وقال : سأردها [أي إلي مذهب أهل السنة] فصرفته هي إلي مذهبها.

فلا تغتر يا أخي بعقلك فلست بأذكى من هؤلاء .

(٥) التروي قبل إصدار الأحكام لأن الإنسان قد يخطئ في تقدير الأمر أحياناً وإن رأي بعينيه وسمع بأذنيه.

ذكر د. بدر عبد الحميد هميسة في مقال بعنوان " لا تتسرع في الحكم علي الناس " علي موقع صيد الفوائد قصة طريفة في هذا السياق فقال :

(ومما يحكي أن رجلاً كبير السن كان جالساً مع ابن له يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً في القطار. وبدا الكثير من البهجة والفضول علي وجه الشاب الذي كان يجلس بجانب النافذة . أخرج الشاب يديه من النافذة وشعر بمرور الهواء وصرخ : أبي ! انظر جميع الأشجار تسير وراءنا !! فتبسم الرجل متماشياً مع فرحة ابنه. وكان يجلس بجانبهما

زوجان ويستمعان إلي مايدور من حديث بين الأب وابنه. وتعجب الزوجان كيف يتصرف شاب في عمر الخمسة والعشرين عاماً كالطفل!!

فجأة ، صرخ الشاب مرة أخري : أبي ! انظر إلي البركة وما فيها من حيوانات ، انظر يا أبي ، الغيوم تسير مع القطار. واستمر تعجب الزوجين من حديث الشاب مرة أخري.

ثم بدأ هطول الأمطار ، وقطرات الماء تتساقط علي يد الشاب الذي امتلأ وجهه بالسعادة وصرخ مرة أخري : أبي ، إنها تمطر ، والماء لمس يدي ، انظر يا أبي. وفي هذه اللحظة لم يستطع الزوجان السكوت وسألوا الرجل الكبير السن : لماذا لا تقوم بزيارة الطبيب والحصول علي علاج لابنك ؟

هنا قال الرجل : إننا قادمون من المستشفي حيث أن ابني قد أصبح بصيراً لأول مرة في حياته.)

أرأيتَ كيف تسرع هذان الزوجان في الحكم علي الشاب قبل معرفة الحقيقة ، فلنتمهل إذن يا أخي الكريم قبل إصدار الأحكام علي الناس.

(٦) أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم الذي نالت منه الشائعة فلا يعين أهل الباطل علي أخيه بتصديقه إياهم.

قال تعالي : " لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ " [النور : ١٢]

(٧) البعد عن سوء الظن بالمسلمين ؛ قال تعالي :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ"[الحجرات:١٢]

روي البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»

(٨) أن لا يتحدث المسلم بما سمعه ولا ينشره فإن المسلمين لو لم يتكلموا بأية شائعة لماتت في مهدها .

قال تعالي : " وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ " [النور : ١٦]

(٩) الإعراض عن اللغو بالامتناع عن الخوض في أي حديث لا ثمرة فيه أو مصلحة أو منفعة عامة أو خاصة وبذلك نستطيع التضييق علي الشائعة .

روي الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٩١١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» .

(١٠) عدم اتباع ما لا علم للإنسان به : من الأمور التي تحصن الإنسان المسلم من الوقوع في الإساءة للمسلمين هو عدم التدخل فيما لا يعلم لأن تدخله في الأمر الذي لا يعلمه يضر بالآخرين وبالتالي فهو مسئول عن كل ما يترتب علي ذلك من سلبيات ،

ويدل علي ذلك قول الله تعالي : " وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً "[الإسراء : ٣٦]

التفسير : ولا تتبع -أيها الإنسان- ما لا تعلم، بل تأكَّد وتثبَّت. إن الإنسان مسئول عما استعمَل فيه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعمَلها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.

(١١) الاعتماد علي القرائن في قبول الأخبار وردها.

القرينة هي : كل أمارة يمكن استنباطها من واقعة ما مع قوة المقارنة والمصاحبة بينهما.

مثال: قضية حرق طارق بن زياد – رحمه الله – للسفن التي عبر بها جيش المسلمين إلي بلاد الأندلس قبل موقعة وادي برباط بين المسلمين والنصارى القوط – قضية شائعة في التاريخ يدعي مروجوها أن طارق بن زياد أراد أن يحمس جنوده علي القتال فأحرق السفن وقال لهم : (البحر من ورائكم والعدو من أمامكم فليس لكم نجاة إلا في السيوف)

وهذه الشائعة باطلة مردودة وذلك للقرائن الآتية :

١ – لو حدث وأحرق طارق هذه السفن لتطلب ذلك رد فعل من قبل قائده موسي بن نصير أو الخليفة الوليد بن عبد الملك استفساراً عن هذه الواقعة ، أو تعليقاً من علماء المسلمين علي جواز هذا الفعل من عدمه ، وكل المصادر التي أوردت هذه الشائعة لم تذكر علي الإطلاق أي رد فعل من هذا القبيل مما يدل علي أنها رواية مختلقة.

٢- المصادر الأوروبية هي التي أشاعت هذه الرواية لأنهم لم يتصوروا كيف انتصر اثنا عشر ألفاً من المسلمين الرجالة علي مائة ألف فارس من القوط النصارى في بلادهم وفي عقر دارهم وفي أرض عرفوها وألفوها؟! فكان أن أذاعوا هذه الرواية ليؤكدوا أن خطر الهلاك الذي أحدق بالمسلمين لم يجعل لهم سبيلاً للنجاة بأنفسهم سوي الاستماتة في القتال والانتصار علي القوط، ولم يعلم هؤلاء أن المسلمين لا ينتصرون علي أعدائهم بتفوقهم في العدة والعتاد ، وإنما ينتصرون بنصرهم لله بطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ " [محمد : ٧]

وقال تعالي : " كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ " [البقرة: ٢٤٩]

٣- كان المسلمون يخوضون المعارك دائماً وقلوبهم تتطلع إلي الجنة ولذا كان أعداؤهم يرون منهم عجباً من استماتة مذهلة في القتال وإذا شئتَ فاقرأ عن موقعة اليرموك أو القادسية أو ملاذ كرد ، فالمسلمون لا يحتاجون إلي قائد يحمسهم بحرق سفنهم.

٤- ليس من المعقول أن قائداً محنكاً مثل طارق بن زياد يحرق سفنه فيقطع بذلك خط الرجعة علي جيشه وقد كان من الوارد أن يهزم جيش المسلمين فلم يكن أمام طارق بن زياد – في حالة الهزيمة - سوي الانسحاب والانحياز إلي قوة المسلمين في الشمال الإفريقي بقيادة موسي بن نصير.

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ{١٥} وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " [الأنفال : ١٥-١٦]

٥- كانت السفن التي عبر عليها المسلمون إلي الأندلس بعضها مملوكة لهم والأخري تم استئجارها من يليان حاكم سبتة ، علي أن يعيدها إليه طارق مرةً أخري بعد انتهاء فتح الأندلس ، فكيف يتصرف طارق بن زياد مثل هذا التصرف الأخرق بحرق السفن ؟! وهل يعقل أن يفرط طارق بن زياد البطل التقي الورع في هذه الأمانة ؟!!

وفوق كل هذه القرائن ، هذه الشائعة لم تصل إلينا بسند صحيح يمكن أن يعتمد عليه بل هي صادرة – في الأصل – عن المصادر الأوروبية الكافرة ، وعلي ذلك فهي شائعة مختلقة كاذبة.

(١٢) رد الأمر إلي أولي الأمر – وهم أهل العلم والحكم – ولا يشيعه بين الناس أبداً وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار التي تتعلق بالأمور المهمة والمصالح العامة للأمة.

قال الله جل وعلا : " وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً " [النساء : ٨٣]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية :

(هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.)

(١٣) يفضل أن يكون تكذيب الشائعة من شخصيات معروفة ومحبوبة وموثوق بها لدي الجماهير حتى يكون الناس في حالة اطمئنان واقتناع كامل.

(١٤) هناك نوع من الشائعات ينبغي أن يحبط بالحجة لا بمجرد التكذيب كما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة أحد عندما أُشيع خبر استشهاده حيث ظهر للناس بشخصه وبذلك أحبط تلك الشائعة .

(١٥) ضرورة البحث عن مصدر كل شائعة والقضاء عليها في منابعها الأولي واجتثاثها من جذورها حتى لا يستفحل أمرها ويعظم خطرها وهذه مسئولية كل حاكم مسلم .

قال تعالي : " لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً " [الأحزاب : ٦٠]

(١٦) بما أن النصوص الشرعية أظهرت بأن الشائعة – في الغالب – هي كذب وافتراء وقذف ونميمة ، فإن الحكم الشرعي هو عدم جواز نشر الشائعة وترويجها بين المسلمين لحرمة المسلم علي أخيه المسلم ، ولضررها علي وحدة الصف الإسلامي وتماسكه.

روي البخاري في الأدب المفرد [حديث رقم ٣٢٣] وحسنه الألباني عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الْمُشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ»

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إماماً .

الفصل الرابع
قضية الاختلاط

تعريف الاختلاط

الاختلاط: هو اجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات في مكان واحد بحكم العمل أو البيع أو الشراء أو النزهة أو السفر أو نحو ذلك، بحيث يمكنهم الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد.

حكم الاختلاط

الاختلاط محرم في كتاب الله وفي سنة رسوله صلي الله عليه وسلم والأدلة علي ذلك كثيرة منها:

١ – قال تعالي : " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ " [غافر : ١٩]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تفسير هذه الآية : وَهُوَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ، وَفِيهِمُ الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ، أَوْ تَمُرُّ بِهِ وَبِهِمُ الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ، فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ إِلَيْهَا، فَإِذَا فَطِنُوا غَضّ، فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا وَقَدِ اطَّلَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدّ أَنْ لَوِ اطَّلَعَ عَلَى فَرْجِهَا. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم : وجه الدلالة: أن الله تعالى وصف العين التي تسارق النظر إلى مالا يحل النظر إليه من النساء بأنها خائنة ، فكيف بالاختلاط .

٢- قال تعالي : " قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ{٣٠} وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ " [النور : ٣٠-٣١]

وجه الدلالة : لو كان الاختلاط سائغاً في الشرع لكان في الأمر بغض البصر تكليف بما لايطاق ، إذ كيف تختلط المرأة بالرجل وتجلس بجواره في العمل أو الدراسة ، ولا ينظر كل واحد منهما للآخر وهما يتبادلان الأعمال والأوراق والدروس فاعتبروا يا أولي الأبصار !!

٣- روي البخاري ومسلم عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»

فوصفهن بأنهن فتنة فكيف يجمع بين الفاتن والمفتون!!

٤- روي مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»

قال الشيخ محمد بن إبراهيم : فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتقاء النساء وهو يقتضي الوجوب، فكيف يحصل الامتثال مع الاختلاط ؟ هذا لا يجوز .

٥- روي البخاري عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَابِسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قِيلَ لَهُ: أَشَهِدْتَ العِيدَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَوْلاَ مَكَانِي مِنَ الصِّغَرِ مَا شَهِدْتُهُ ، حَتَّى أَتَى العَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلاَلٌ، فَوَعَظَهُنَّ، وَذَكَّرَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُهُنَّ يَهْوِينَ بِأَيْدِيهِنَّ يَقْذِفْنَهُ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَبِلاَلٌ إِلَى بَيْتِهِ»

قال ابن حجر: قوله: (ثم أتى النساء) يشعر بأن النساء كن على حدة من الرجال غير مختلطات بهم.

٦- روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»

قال الشيخ محمد بن إبراهيم : وإنما كان زناً لأنه تمتع بالنظر إلى محاسن المرأة ومؤد إلى دخولها في قلب ناظرها ، فتعلق في قلبه ، فيسعى إلى إيقاع الفاحشة بها . فإذا نهى الشارع عن النظر إليهن لما يؤدي إليه من المفسدة وهو حاصل في الاختلاط ، فكذلك الاختلاط ينهى عنه لأنه وسيلة إلى ما لا تحمد عقباه من التمتع بالنظر والسعي إلى ما هو أسوأ منه .

٧- روي البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ» ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا» ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»

وجه الدلالة : إذا كان غض البصر واجباً على الرجال إذا مرت بمجلسهم في الطريق امرأة مروراً عابراً ، فكيف يسوغ لبعض الناس أن يزعموا أن شريعة الله تعالى لا تُمانع من اختلاط الرجال بالنساء يومياً في مكان مغلق الساعات الطوال ؟!

٨- روي أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٧٩٥٣) عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم : «يا علي! لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» .

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله : فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال ؟ والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير .

وكيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنبا إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما يقوم به ؟ . انتهى

الرجل الأجنبي هو : الرجل الذي ليس بمحرم للمرأة .

مظاهر الاختلاط المحرم في الأمة الإسلامية

(١) اختلاط الأولاد الذكور والإناث – ولو كانوا إخوة – بعد التمييز في المضاجع ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اختلاط الأخ مع الأخت في المضجع، مع أن المحرم قد لا يفكر في جوانب الشهوة بمحارمه، كما يكون التفكير مع الأجنبية عنه، وهذا أمر مُشاهد معلوم، ومع ذلك جاء النهي عنه صلى الله عليه وسلم ليُستدل به على ما هو أعظم من ذلك، وهو الاختلاط بالأجنبية عنه.

روي أحمد وأبو داود والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٨٦٨] عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

"مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع"

(٢) اتخاذ الخدم الرجال واختلاطهم بالنساء ، وحصول الخلوة بهن .

(٣) اتخاذ الخادمات اللاتي يبقين بدون محارم وقد تحصل بهن الخلوة .

(٤) الزيارات العائلية التي يجلس فيه النساء والرجال – غير المحارم – جميعاً يتبادلون الحديث والضحكات فيحدث هذا امرأة هذا وتحدث امرأة الآخر زوج الأخري وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٥) اختلاط الرجال بالنساء في المستشفيات والعيادات والمصالح الحكومية ومحلات القطاع الخاص والمواصلات .

(٦) استقبال المرأة أقارب زوجها وأصدقائه في غيابه ، أو مجالستهم والحديث معهم في حضوره .

(٧) الاختلاط بين الخطيبين بحجة تعرف كل طرف علي الآخر وما يتبع ذلك من منكرات قد تصل إلي الزنا والعياذ بالله ، نتيجة هذا الاستهتار المشين .

الآثار المدمرة للاختلاط

(١) ضعف القدرات الذهنية لطلاب المدارس والجامعات ، مما يؤدي إلي انخفاض المستوي الدراسي ويرجع ذلك إلي أمرين :

١ - تحول الاهتمامات لدي كل جنس إلي الجنس الآخر .

٢ - وجود ارتباط بين الغريزة الجنسية والنشاط العقلي بحيث إذا تحركت الغريزة الجنسية أدي ذلك إلي التشوش الذهني وعدم القدرة علي التفكير السليم .

(٢) شيوع الفاحشة : وهي نتيجة طبيعية للاختلاط لا ينكرها إلا مكابر، وكم سمعنا عن حوادث تشيب لهولها الولدان من جراء التساهل باختلاط الرجال مع النساء خاصةً في الأسر التي ينتشر فيها ما يعرف بصديق الأسرة الذي يكون صديقاً للرجل وزوجته وبناته علي حد سواء ، ومع تكرار الزيارات والأحاديث والضحكات وما يلبث هذا

الصديق الفاجر أن يزني بزوجة صديقه فتهدم البيوت وتختلط الأنساب ويضيع الحياء وإلي الله المشتكي .

(٣) انتشار الأمراض الجنسية : مثل الزهري والسيلان والإيدز وغيرها وهي نتيجة طبيعية لشيوع الفاحشة .

روي ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٧٩٧٨] عن عبد الله بن عمر وفيه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا "

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت والطواعين المتصلة. "

(٤) السلوك العدواني : وهذا السلوك يشهد له الواقع المؤلم في البيئات التي تشجع الاختلاط ، ابتداءً من التحرش الجنسي وانتهاءً بجرائم الاغتصاب والقتل .

(٥) تغير طبيعة الرجل وطبيعة المرأة : في مجال التعليم نجد الاختلاط بين الجنسين في الجامعة كأنه صار سنة متبعة ، وبسبب الاختلاط تشبه الرجال بالنساء ، وتشبهت النساء بالرجال ، حتى إنه يصعب على الرائي في بعض الأحيان أن يميز بين الذكر

والأنثى في زحام الطلبة والطالبات؛ لتشابه الجنسين في الملبس ولم يقتصر الأمر عند التشبه في الملبس بل رأينا هؤلاء يتبادلون الأدوار فصارت الرقة والميوعة في أشباه الرجال والخشونة في شبيهات النساء سمة واضحة .

روي أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥١٠٠] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء» .

(٦) تسابق المتبرجات في مجال الزينة المحرمة مثل مساحيق التجميل و الأزياء الصارخة في الإثارة، والتي كثيرا ما تبرز مفاتن البنت أو تصف ما تحتها مما يجعل المرأة كالسلعة المهينة الحقيرة المعروضة لكل من شاء أن ينظر إليها.

وقد حرم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصفُ وما يشفُّ عما تحته من الجسد، ومثله ما يحدد أجزاء البدن، وبخاصة مواضع الفتنة منه، كالثديين والخصر والردف والفخذين وهذا مايفعله ذلك الزي الحقير المبتذل المعروف بالبنطلون وهو رمز تبرج النساء في هذا العصر ولايشك أي رجل عنده بقية من غيرة ودين في حرمة خروج المرأة من بيتها بالبنطلون فإن كان البنطلون واسعاً فهو يدخل في باب التشبه بالرجال وفيه الكثير من الفتنة والإغراء أيضاً ، وإن كان البنطلون ضيقاً - وهو الأغلب الأعم – فهي كاسية عارية تندرج تحت الحديث الذي رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ

يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»

(٧) تمكين الشيطان من السيطرة علي القلب : وذلك لأن بيئة الاختلاط هي البيئة المثلي التي تترعرع فيها وساوس الشيطان فما يلبث الإنسان أن يخضع لتلك الوساوس ويغرق قلبه في بحر متلاطم الأمواج من الفتن .

- روي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»

- روي مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»

قال الشيخ محمد عبد الباقي رحمه الله تعليقاً علي هذا الحديث ما ملخصه :

((تعرض الفتن) أي تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به (فأي قلب أشربها) أي دخلت فيه دخولا تاما وألزمها وحلت منه محل الشراب ومنه قوله تعالى :" وأشربوا في قلوبهم العجل" أي حب

العجل ومنه قولهم ثوب مشرب بحمرة أي خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها (نكت فيه نكتة) أي نقط نقطة ، قال ابن دريد وغيره كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكت (أنكرها) ردها (مثل الصفا) قال القاضي عياض رحمه الله ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء (مرباداً) شيء من بياض يسير يخالط السواد (مجخيا) معناه مائلاً أو منكوساً (قوله: كالكوز مجخيا) أي لا يعلق به خير ولا حكمة.)

(٨) العزوف عن الزواج : وذلك لأن المرأة عندما اختلطت بالرجال صارت سلعة مبتذلة في أيديهم يحصلون منها علي مايريدون دون أدني تحمل للمسئولية فلم يعد الواحد من هؤلاء لديه استعداد لتحمل أعباء الزواج وتبعاته .

(٩) كثرة حالات الطلاق :

ففي الوقت الذي يحصل فيه العزوف عن الزواج ، تكثر حالات الطلاق فالاختلاط يجعل الرجل يتعامل مع زميلات له، وقد تكون فيهن من هي أجمل من زوجته ، أو فيها من المميزات التي ليست في زوجته، ومع تزيين الشيطان يبدأ في المقارنة ثم الاسترسال في الأفكار، ثم ينصرف عن زوجته التي كان يحبها قبل معاشرته لغيرها.

وكذلك المرأة التي تخالط الرجال، فإنها قد تنظر إلى زميلها في العمل أو تجد معه ما ليس مع الزوج ، من فتوة أو مال أو وسامة ، في الوقت ذاته تعود إلي منزلها فتجد نفسها

ملزمة بكثير من الواجبات تجاه زوجها ، ومع كثرة الملازمة والمحادثة والاختلاط ينشأ بينها وبين زميلها حب مزيف رخيص فتسعي المرأة إلي فراق زوجها لترتبط بذاك الذي ظنت أنها تحبه ، وبعد الطلاق تكتشف أنها كانت مجرد نزوة حقيرة ولكن بعد فوات الأوان. نسأل الله العافية وأن يستر ويحفظ بيوت المسلمين .

(١٠) تنامي ظاهرة الزواج العرفي : وهي من النتائج الطبيعية المرة للاختلاط وفيه يقوم الشاب والفتاة بترديد صيغة الزواج والإتيان بشاهدين فاسقين مثلهما وكتابة ورقة لاتساوي ثمن الحبر الذي كتب به عليها وهكذا يكون قد تم هذا الزواج المزعوم وهو عين الزنا ورب الكعبة لأن هذا الزواج المزيف افتقد إلي شرط الولي والشاهدين العدلين والإشهار.

- روي أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٢٧٠٩] عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

«أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له» .

- روي البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٧٥٥٧] عن عمران بن حصين وعائشة رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل» .

(١١) الانهيار الحضاري :

فإذا شئت فاقرأ عن انهيار حضارة اليونان ففي أوج حضارة اليونان تبدلت المرأة واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات، فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنى أمراً غير منكر، وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن، وقد أفرغوا على الفاحشة ألوان القداسة بإدخالها المعابد حيث اتخذ البغاء صفة التقرب إلى آلهتهم، ومن ذلك أنهم اتخذوا إلها أسموه (كيوبيد) أي (ابن الحب) ، واعتقدوا أن هذا الإله المزعوم ثمرة خيانة إحدى آلهتهم (أفروديت) زوجها مع رجل من البشر.

وتحكى بعض المصادر أنه كان للمرأة الإسبرطية الحق في أن تتزوج بأكثر من رجل واحد. ثم لم يشبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا لذلك تمثال "هرموديس وارستوجتين" وهما في علاقة آثمة، وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا.

قال تعالي : "وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً"

- أورد الشيخ خباب الحمد في مقال له علي الشبكة العنكبوتية قصة في نفس هذا السياق تدل علي أن الاختلاط والحب المزعوم خارج إطار الزواج كان سبباً رئيسياً في زوال دولة الإسلام في الأندلس قال فيها : في عصر الدولة الأموية بالأندلس، أوفد أحد

ملوك النصارى في أوربا جاسوساً؛ ليكون عوناً وعيناً له على المسلمين، لكي يقيس درجة إيمانهم وصلاحهم وكرههم لأعداء الإسلام؛ ولكي يتحسَّس أخبار المسلمين، فإن وجد فيهم ضعفاً وهواناً أخبر العدو الصليبي لكي ينقض على المسلمين كما يَنْقَضُّ الصقر على فريسته!

لكنَّ ذلك الجاسوس فوجئ حينما رأى شاباً يبكي؛ لأنَّه أصاب تسعة أسهم في الهدف من عشرة، فأخبر الجاسوس سيده الصليبي بذلك، فقالوا: إن كان شباب الإسلام على هذه الشاكلة فيستحيل أن نغزوهم عسكرياً؛ ولكنَّنا سنغزوهم فكرياً ونضعف محبة الإسلام والقيام بشعائره في قلوبهم ونغرقهم بالخمور والنساء ، وحينها يمكن احتلال ديارهم بكل سهولة ويسر.

وبالفعل قاموا بذلك وعندما عاد الجاسوس بعد مدَّة زمنيَّة؛ لكي يتفقد أحوال المسلمين وجد شاباً يبكي لأنَّ حبيبته تركته، فذهب فرحاً جذلاً للصليبيين وقال لهم: إنَّ هذه هي الفرصة المواتية لقتال المسلمين، واحتلال أرضهم، فكان ما كان من انهيار دولة الإسلام في الأندلس .

قال تعالي : " وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ "

[هود : ١٠٢]

انتبهوا أيها المسلمون ، صونوا بناتكم وزوجاتكم ولا تتهاونوا فتعرضوهن للاختلاط بالأجانب.

انتبهوا !! فالخطر يتهددنا جميعاً ؛ روي البخاري ومسلم عَـن زينـبَ بنـتِ جحـشٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيلٌ للعربِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِأُصْبَعَيْهِ: الْإِبْهَامَ وَالَّتِـي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَنُهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَـالَ: «نَعَـمْ إِذا كثُـرَ الخَبَثُ» .

روي الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم٨١٥٦] عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قيل: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث» .

الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية الاختلاط

(١) التزام النساء أمر الله تبارك وتعالي بالقرار في البيوت .

قال تعالي : " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى " [الأحزاب : ٣٣]

التفسير : والْزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم : وجه الدلالة : أن الله تعالى أمر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاهرات المطهرات الطيبات بلزوم بيوتهن ، وهذا الخطاب عام لغيرهن من نساء المسلمين ، لما تقرر في علم الأصول أن خطاب المواجهة يعم إلا ما دل الدليل على تخصيصه ، وليس هناك دليل يدل على الخصوص ، فإذا كن مأمورات بلزوم البيوت إلا إذا اقتضت الضرورة خروجهن ، فكيف يقال بجواز الاختلاط على نحو ما سبق ؟ .

على أنه كثر في هذا الزمان طغيان النساء ، وخلعهن جلبات الحياء ، واستهتارهن بالتبرج والسفور عند الرجال الأجانب والتعري عندهم ، وقل الوزاع عن من أنيط به الأمر من أزواجهن وغيرهم .

(٢) إذا احتاجت المرأة إلي العمل كأن لم يكن لها عائل يكفلها أو احتاج العمل إليها كوظيفة معلمة البنات أو طبيبة النساء ، يجب علي المرأة حينئذ أن تلتزم بالضوابط الشرعية وهي :

١ – أن يكون العمل حلالاً لاتستغل فيه أنوثة المرأة ، ولايتعارض مع مهمتها الأساسية من القيام بشئون المنزل.

٢ – أن يكون العمل مناسباً لطبيعة المرأة متلائماً مع تكوينها وخلقتها ، كالتطبيب والتمريض والتدريس والخياطة ونحو ذلك .

٣– ألا يؤدي عملها إلي سفرها بلا محرم .

٤ – الالتزام بغض البصر :

قال تعالي : " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ " [النور : ٣١]

٥- التزام المسلمة بالحجاب الشرعي الذي يصون كرامتها ويحفظ حياءها ويكون عنواناً لوقارها .

والحجاب الشرعي له شروط - ذكرها الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله في كتابه الماتع عودة الحجاب - وهي :

١] استيعاب جميع بدن المرأة (على الراجح) .

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً "

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي : قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ مَعْنَى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ: أَنَّهُنَّ يَسْتُرْنَ بِهَا جَمِيعَ وُجُوهِهِنَّ، وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ إِلَّا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ تُبْصِرُ بِهَا، وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ: ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

٢] ألا يكون زينة في نفسه .

ومن أدلة ذلك : قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الآية [النور: ٣١] ،، لأنه بعمومه يشمل الثياب الظاهرة إذا كانت مزينة تلفت أنظار الرجال إليها، ويشهد لذلك قوله تعالى: " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى " [الأحزاب: ٣٣]

وروي البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع

[حديث رقم ٣٠٥٨] عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا وأمة أو عبد أبق من سيده فمات وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم".

ثلاثة لا تسأل عنهم: أي فإنهم من الهالكين .

التبرج: هو أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها وما يجب عليها ستره مما تَستدعي به شهوة الرجل.

قال العلامة الألباني رحمه الله : (والمقصود من الأمر بالجلباب إنما هو ستر زينة المرأة، فلا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب نفسه زينة)

٣] أن يكون صفيقا فلا يشف

أما الصفيق فلأن الستر لا يتحقق إلا به، وأما الشفاف فإنه يزيد المرأة فتنة وزينة.

روي أحمد وابن حبان والطبراني في الصغير والأوسط وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [حديث رقم ٢٦٨٣] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات "

أخرج ابن سعد عن هشام بن عروة : أنّ المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر بكسوة من ثياب مروية وقوهية رقاق عتاق بعدما كفَّ بصرُها قال : فلمستها بيدها ثم قالت : أفٍّ ردوا عليه كسوته قال : فشقّ ذلك عليه وقال : يا أمّه إنه لا يشفُّ . قالت إنها إن لم تشف فإنها تصف. (صححه الألباني في:جلباب المرأة المسلمة.)

مروية: ثياب مشهورة بالعراق، منسوبة إلى "مرو" قرية بالكوفة. وقوهية: من نسيج "قوهستان" ناحية بخراسان كما في "الأنساب" للسمعاني.

٤] أن يكون فضفاضا غير ضيق.

قال العلامة الألباني رحمه الله : لأن الغرض من الثوب إنما هو رفع الفتنة ولا يحصل ذلك إلا بالفضفاض الواسع وأما الضيق فإنه وإن ستر لون البشرة فإنه يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره في أعين الرجال وفي ذلك من الفساد والدعوة إليه ما لا يخفى فوجب أن يكون واسعًا.

- روي الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" ، وأحمد، والبيهقي وحسنه الألباني في الثمر المستطاب عن أسامة بن زيد قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي فكسوتها امرأتي فقال: "ما لك لم تلبس القبطية؟" قلت: كسوتها امرأتي فقال: "مرها فلتجعل تحتها غلالة فإني أخاف أن تصف حجم عظامها"

٥] أن لا يكون مبخرًا مطيبا.

روي أحمد والنسائي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٢٧٠١] عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال :

«أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية» .

٦] أن لا يشبه لباس الرجل.

روي أبو داود والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٠٩٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

«لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل» .

٧] أن لا يشبه لباس الكافرات.

روي أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٦١٤٩] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»

٨] أن لا يكون لباس شهرة .

روي أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني في كتابه " جلباب المرأة المسلمة " عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم :

"من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارًا"

٦- الالتزام بآداب الإسلام في حركاتها وسكناتها ، وفي وقوفها ومشيها فلا يجوز لها أن ترتدي الحذاء ذا الكعب العالي لأنه ملفت للأنظار.

قال تعالي : " وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ " [النور : ٣١]

٧- أن تبتعد المسلمة عن الاختلاط بالرجال ما استطاعت إلي ذلك سبيلاً ، وهذا منهج قرآني بينه الله لنا من خلال قصة ابنتي الرجل الصالح من أهل مدين.

قال تعالي : " وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" [القصص: ٢٣]

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : (في الآية أربعة أدلة على المنع من الاختلاط :

الدليل الأول : قوله تعالى : (مِن دُونِهِمُ) إشارة إلى أنهن كن بعيدات منعزلات غير مختلطات بالرجال .

الدليل الثاني: قوله تعالى : (تَذُودَانِ) أي يمنعن غنمهما من أن يذهبن إلى غنم القوم فيؤدي إلى اقترابهما من الرجال.

الدليل الثالث: قوله تعالى : (لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء) تأكيد ورفض منهن أن يسقين الغنم وهن مختلطات بالرجال.

الدليل الرابع : قوله تعالى : (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) أي يردن القول بأنهن لم يكن ليخرجن للسقيا لولا أن والدهما شيخ كبير في السن ولا يوجد أحد يقوم مقامه في السقيا فاضطررن للخروج .)

٨- أن تتحري المرأة في كلامها الصوت الجاد الخالي من أسباب الفتنة بأن تبتعد عن الخضوع بالقول الذي يحرك النفوس المريضة ويدفعها إلي التفكير في المعصية.

قال تعالي : " فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً " [الأحزاب:٣٢]

التفسير : فلا تتحدثن مع الأجانب بصوت لَيِّن يُطمع الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة الحرام، وهذا أدب واجب على كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، وقُلن قولا بعيدًا عن الريبة، لاتنكره الشريعة.

(٣) الثالث من الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية الاختلاط : التزام المرأة بالضوابط الشرعية التي تمنعها من الاختلاط حتي في العبادات ، ومن ذلك :

١- انصراف النساء قبل الرجال عند الفراغ من الصلاة.

روي البخاري عن أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَمَكَثَ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «فَأُرَى وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ مُكْثَهُ لِكَيْ يَنْفُذَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ مَنِ انْصَرَفَ مِنَ القَوْمِ»

٢- إذا انصرفت المرأة من المسجد ، تسير علي جانب الطريق وليس في وسطه.

روي أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٩٢٩] عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ »

فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاختلاط في الطريق ، وهو اختلاط للحظات يسيرة فكيف بموظفة تمضي الساعات والشهور مع زميلها بالمكاتب والأماكن المغلقة وتجلس بجواره وتناقشه وجها لوجه في أمور العمل !

٣- لا يكون ديدن المرأة أن تخرج للصلاة في المسجد لأن صلاتها في بيتها خير لها.

روي أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٧٤٥٨]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن» .

٤- عدم الاختلاط بالرجال في الطواف ما استطاعت المرأة إلي ذلك سبيلاً .

روي البخاري عن ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: « إِذْ مَنَعَ ابْنُ هِشَامٍ النِّسَاءَ الطَّوَافَ مَعَ الرِّجَالِ، قَالَ: كَيْفَ يَمْنَعُهُنَّ؟ وَقَدْ طَافَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الرِّجَالِ؟ قُلْتُ: أَبَعْدَ الحِجَابِ أَوْ قَبْلُ؟ قَالَ: إِي لَعَمْرِي، لَقَدْ أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الحِجَابِ، قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطْنَ الرِّجَالَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنَّ يُخَالِطْنَ، كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَطُوفُ حَجْرَةً مِنَ الرِّجَالِ، لاَ تُخَالِطُهُمْ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: انْطَلِقِي نَسْتَلِمْ يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: «انْطَلِقِي عَنْكِ» ، وَأَبَتْ، يَخْرُجْنَ مُتَنَكِّرَاتٍ بِاللَّيْلِ، فَيَطُفْنَ مَعَ الرِّجَالِ، وَلَكِنَّهُنَّ كُنَّ إِذَا دَخَلْنَ البَيْتَ، قُمْنَ حَتَّى يَدْخُلْنَ، وَأُخْرِجَ الرِّجَالُ »

قال الدكتور مصطفى البغا تعليقاً علي هذا الأثر : (مع الرجال) في وقت واحد. (طاف نساء النبي) غير مختلطات وإنما من وراء الرجال. (إي) نعم. (الحجاب) أي أمرهن بالحجاب. (لعمري) بفتح العين وهي لغة في العمر تختص بالقسم تخفيفا والمعنى أقسم ببقاء الله تعالى. (أدركته) أي رأيت طوافهن مع الرجال. (حجرة) في نسخة (حجزة) في ناحية محجوزة ومحجورة عن الرجال أي معتزلة. (امرأة) قيل اسمها دقرة. (نستلم) نمس الحجر الأسود. (عنك) اتركي هذا عن نفسك. (متنكرات) مستترات. (قمن حتى دخلن) وقفن قائمات لا يدخلن إلا بعد خروج الرجال.

(٤) التزام الأسرة المسلمة بالضوابط الشرعية في الزيارات العائلية ، وذلك عن طريق الآتي :

١ – إلغاء مفهوم صديق الأسرة من قاموس الأسرة المسلمة ، فليس ذلك من شيم المسلمين أن يسمح الرجل لصديقه أو حتي أخيه أن يجلس مع امرأته ينظر إليها وتنظر إليه ويتحدث إليها وتتحدث إليه فذلك – والعياذ بالله – من الدياثة وقلة الغيرة وبعض هؤلاء يحتجون بنظافة قلوبهم وقلوب نسائهم وقلوب أصدقائهم وهم كاذبون في دعواهم تلك لأنهم لو كانوا صادقين وكانت قلوبهم نظيفةً حقاً لامتثلوا أمر الله وأمر رسوله ومنعوا نساءهم من الاختلاط بالرجال .

* روي أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٣٠٥٢] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال :

«ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث» .

٢ – عدم سماح المرأة المسلمة لأقارب زوجها الأجانب بالدخول إلي بيتها في غياب زوجها .

روي البخاري ومسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ»

قال الشيخ محمد عبد الباقي رحمه الله تعليقاً علي هذا الحديث : (الحمو الموت) قال الليث بن سعد الحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه اتفق

أهل اللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم والأختان أقارب زوجة الرجل والأصهار يقع على النوعين وأما قوله صلى الله عليه وسلم الحمو الموت فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم فهذا هو الموت وهو أولى بالمنع من الأجنبي وقال ابن الأعرابي هي كلمة تقولها العرب كما يقال الأسد الموت أي لقاؤه مثل الموت قال القاضي معناه الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الفتنة والهلاك في الدين فجعله كهلاك الموت فورد الكلام مورد التغليظ.

قال الشاعر: لا يأمنن على النساء أخ أخًا ما في الرجال على النساء أمين

إن الأمين وإن تعفف جهده لابد أن بنظرة سيخون

٣- في الزيارات العائلية ، يجب أن تكون الجلسة منفصلة بحيث يجلس الرجال مع الرجال ويجلس النساء مع النساء .

قال تعالي : "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ " [الأحزاب : ٥٣]

قال الشيخ صالح الفوزان : لأن الحجاب يمنع الاختلاط بين الرجال والنساء ويجعل النساء منعزلات من ورائه عنهم حال سؤالهم لهن ـ ومثله قوله تعالى عن مريم (فاتخذت من دونهم حجاباً) أي ساتراً يعزلها عن اختلاطها بقومها.أ.هـ

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية : أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب .

٤ – عدم مصافحة المرأة لأي رجل أجنبي عنها سواءً كان من أقاربها أو أقارب زوجها لأن ذلك محرم .

– روي الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٠٤٥] عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال :

«لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» .

– روي البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا قَالَتْ:" وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا " أي يملك نكاحها

روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»

والشاهد : قوله صلي الله عليه وسلم : (وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ) وهو المس باليد بأن يمس امرأة أجنبية بيده .

(٥) عدم سفر المرأة بغير محرم .

روي البخاري عن عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ» ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشِ كَذَا وَكَذَا، وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الحَجَّ، فَقَالَ: «اخْرُجْ مَعَهَا»

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: (النساء لحم على وَضَم إلا ما ذُبَّ عنه، كُلُّ أحدٍ يشتهيهن وهن لا مدفع عندهن، بل ربما كان الأمر إلى التخلي والاسترسال أقرب من الاعتصام، فحض الله عليهن بالحجاب، وقطع الكلام، ومباعدة الأشباح، إلا مع من يستبيحها وهو الزوج، أو يمنع منها وهم أولو المحرمية، ولما لم يكن بدٌّ من تصرفهن أذن لهن فيه بشرط صحبة من يحميهن، وذلك في مكان المخالفة وهو السفر مقر الخلوة، ومعدن الوحدة) اهـ.

وَضَم: الوضم ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير.

(٦) في حالة مرض المرأة وحاجتها للذهاب إلي الطبيب : قال الشيخ وحيد بالي حفظه الله :

(لايجوز للمرأة أن تذهب إلي طبيب للمداواة عنده إلا إذا توافرت الشروط التالية :

١ – عدم وجود امرأة طبيبة تقوم مقامه.

٢ – أن لايجد ما ينقلها به إلي طبيبة في مكان آخر.

٣– أن يكون معها محرم .

٤ – أن لا يتجاوز موضع الحاجة.

٥ – أن يكون مرضاً لايمكن السكوت عليه.

فإذا توافرت هذه الشروط جاز للمرأة أن تذهب إلي طبيب للمداواة.)

(٧) مقاطعة وسائل الإعلام المغرضة التي تروج للاختلاط وتلبسه ثوباً براقاً يخطف الأبصار تارة باسم المدنية وتارة باسم تهذيب الغرائز وتارة باسم التقدم والحضارة ، ومَثل هؤلاء الذين يتهاونون في الخلوة والاختلاط الآثم بدعوي أنهم ربوا علي الفضيلة والأخلاق الحميدة كمثل قوم وضعوا قطعة من الحديد بجانب مغناطيس وقالوا في ثقة : لن ينجذب. فهذا خيال لايمت للواقع بصلة بل هو خداع للنفس واتباع للهوي.

(٨) يجب علي ولي المرأة أن يتقي الله فيها بأن يعلمها أمور دينها ويحملها علي الالتزام بكتاب ربها وسنة نبيها صلي الله عليه وسلم وإلا لحقه الإثم بتفريطه في هذه الأمانة .

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "[التحريم:٦]

التفسير: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به .

- روي البخاري ومسلم عَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ،

- روي البخاري ومسلم عَنِ معقل بن يسار، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»

وأبشر يا أخي بجنة الخلد والرضوان إذا ربيت ابنتك علي كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم وهذه البشري من رسول الله صلي الله عليه وسلم :

روي البخاري ومسلم عَنِ عائشة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»

وأخيراً ، وصلنا إلي نهاية هذا الفصل ، فهل من رجعة يا أخوات الإسلام! إلى التزام أخلاق الدين القويم، بالمحافظة على الحجاب والعفاف والستر والحِشمة، والبُعد عن الاختلاط والتبرج والسفور وقلة الحياء؟!!

هيا ، يا أمة الله عودي إلي كتاب ربك ، عودي إلي سنة نبيك صلي الله عليه وسلم عودةً حميدة.. عودةً سديدة تعيد للمسلمين عزتهم وكرامتهم .

الفصل الخامس
قضية الخلافات الزوجية

شرع الله النكاح لإقامة الحياة الزوجية المستقرة، المبنية على المحبة والمودة بين الزوجين، وإعفاف كل منهما صاحبه، وتحصيل النسل، وقضاء الوطر.

ويندر في الواقع أن يعيش زوجان دهراً من عمرهما دون أن تطرأ في حياتهما مشكلات وخلافات.

ولذلك فعلينا أن نتقبل الخلافات الزوجية على أنه أمر لا مفر منه أو هو شر لا بد منه ولا يعني ذلك أن نستسلم للخلاف وألا نأبه له عند حدوثه فالخلاف شر وهو يعكر النفوس ويقتل بهجة الحياة الزوجية وعلينا أن نفر منه بكل سبيل ولكن ينبغي أيضاً أن لا نظن أن الكارثة قد وقعت عند أي خلاف مهما كان ويجب أن نعلم أيضاً أن لكل جرح دواء وعلينا أن نحاول دائماً ولا نيأس من علاج مطلقاً وفوق هذه القاعدة نستطيع أن نؤسس حياة زوجية سعيدة.

في كل مشكلة ينبغي أن يشخص الداء وأن يوصف الدواء، فإذا عرف الداء وتشخص استطاع الطبيب أن يذكر العلاج وأن يصفه، ثم لزم المريض أن يتابع هذا العلاج وأن يعمل به، وأن يستمر عليه وأن يتابعه، ليؤتي أكله وثماره حياة سليمة صحيحة، ومشكلة

الخلافات الزوجية .. مشكلة أقضت مضاجع الأمة، وبحت فيها حناجر الغيورين والمصلحين، ولكنها مع الأسف الشديد لا تزال تزداد سوءً في مجتمعنا بشكل لم يسبق له مثيل.

ولو أن الأمة والأسرة والمجتمع بل وكل فرد من الأفراد طبق شرع الله عز وجل في خاصة نفسه لأراح واستراح ولم تحصل منه مشاكل، لا في نفسه ولا في بيته ولا في أسرته، متى ما أصلح الإنسان ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن ذلك أن يصلح الله أسرته، ويصلح أولاده، ويبارك له في داره وسكنه، وبقدر تقصيره يعاقب بمثل هذا الأمر، كما ذُكر عن بعض السلف أنه قال: إني لأعصى الله عز وجل فأرى ذلك في سلوك زوجتي ودابتي وخادمي، أو كما ورد.

قال تعالي : " وَمَن يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً{٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " [الطلاق:٢-٣]

قال تعالي : " وَمَن يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً " [الطلاق:٤]

أسباب المشاكل الزوجية

(١) **قلة البصيرة في الدين والجهل بأحكام الشريعة السمحة**، وتراكم العادات السيئة والتمسك بالآراء الرديئة .

فيظن بعض الأزواج- مثلاً- أن التهديد بالطلاق أو التلفظ به هو الحل الصحيح

للخلافات الزوجية والمشكلات الأسرية، فلا يعرف في المخاطبات سوى ألفاظ الطلاق في مدخله ومخرجه وفي أمره ونهيه، بل في شأنه كله، وما درى أنه بهذا قد اتخذ آيات الله هزواً؛ يأثم في فعله ويهدم بيته ويخسر أهله.

قال تعالي " وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً " [البقرة : ٢٣١]

والمعني : ولا تتخذوا آيات الله وأحكامه لعبًا ولهوًا.

(٢) عدم معرفة الوسائل الشرعية في علاج الخلافات

أيضاً من الأسباب: عدم معرفة الوسائل الشرعية في علاج الخلافات الطفيفة ؛ فيتبادر إلى ذهن الزوج والزوجة عند حدوث أي خلل إلى الطلاق، لا يرى علاجاً إلا الطلاق، ولا ترى هي علاجاً إلا أن تقول: طلقني، أو اذهب بي إلى أهلي، وهذا خطأ، فإن الطلاق آخر مرحلة، والله سبحانه وتعالى قد جعل وسائل كثيرة لعلاج الخلافات الزوجية قبل الطلاق سنتعرض لها بالتفصيل من خلال مبحث الضوابط الشرعية للتعامل مع الخلافات الزوجية .

أما أن يأتي شاب تزوج قريباً، وبمجرد خلل بسيط طلق، أو قالت: طلقني ، فلا يجوز أن يلجأ الرجل إلى الطلاق ابتداءً، ولا يجوز للمرأة أن تسأل الرجل الطلاق ابتداءً، بل الطلاق آخر الحلول، وينبغي أن نسلك الطرق الشرعية في حل الخلافات الزوجية دون اللجوء إلى الطلاق إلا في الظروف الضيقة جداً وبالتالي نضمن -أيها الإخوة- سعادة الأسر وسلامتها، واكتمال بنيانها، ودوامها واستمرارها، وعدم تشتت أبنائها وبناتها؛

لأن معظم المشاكل -أيها الإخوة- ومعظم الانحرافات التي تلاحظ الآن عند الشباب، في المدارس وفي الجامعات وفي الشوارع ؛ ناتجة عن سوء العشرة في البيوت، فالبيت الذي فيه الأب يلعن المرأة ويضربها ويسيء عشرتها، ينشأ الأولاد على هذا الخلق، والبيت الذي تكثر فيه الخلافات تتولد في نفوس الأولاد العقد النفسية، والمشاكل الاجتماعية، وهناك أسر تحطمت، فالولد في بيت أبيه ليس مع أمه، أو عند أمه وليس مع أبيه، فلا يجد الولد عند أبيه أماً تحنو عليه، ولا تجد البنت عند أمها أباً يحميها ويشفق عليها، فتسلك سلوك الانحراف، أو يسلك الولد سلوك الانحراف وكل ذلك بسبب تصدع بنيان الأسرة بوجود الطلاق.

لكن البيت المتفاهم تجد الأولاد أذكياء، لماذا؟ لأنهم لا يعرفون مشاكل، ولا يعرفون خلافات، ولا يعرفون العقد .

فحتى نحمي -أيها الإخوة- مجتمعنا، ونحمي أبناءنا وبناتنا وأفرادنا علينا أن نحمي أسرنا، وأن نتعامل مع أزواجنا وفق آداب الشرع، وأن نبحث عن المشاكل وأسبابها، ثم نعالجها بالعلاج الشرعي.

(٣) تدخل الأقارب والجيران في الخلافات الزوجية

من أسباب المشاكل الزوجية: تدخل الأقارب والجيران في الخلافات الزوجية البسيطة، وتصعيدها، وزيادتها، والمساهمة في نموها وكبرها، حتى تقضي على الأسرة، لكن من أين يأتي التدخل؟ يأتي الخلل من الزوج أو من الزوجة، فالزوج عندما يذهب يشتكي إلى

أمه وأبيه أو إلى أخيه، ويقول: زوجتي فعلت وفعلت ، فماذا يقول الأب والأم ؟ يقولان : لا تصلح لك ، اتركها، نحن نعلم أنها سوف تعاملك هكذا، من أول يوم وأنت لين ضعيف معها ، لكن لو ضربتها وتعاملت معها بشدة وبعنف ستتعلم الأدب ، ويقومان بشحنه، ثم يذهب إلى البيت فإذا قالت له: السلام عليكم، قال: لا سلام ولا كلام، ثم يلطمها على وجهها، وماذا بعد؟ ترتب على هذا فساد العشرة، ومن الذي أفسد؟ أنت الذي أعلمت أباك وأمك .

وكذلك المرأة قد تذهب وتشتكي إلى أهلها، تذهب لأمها وتقول: ضربني وعمل بي، فتشحنها أمها، أو تشتكي إلى أبيها ، فلا يجوز ذلك ولا ينبغي للرجل ولا للمرأة أن يكشف أحدهما سره لأهله ولا لأقاربه لماذا؟ لأنكم تختصمون الآن ثم تتصالحون آخر الليل، لكن إذا ذهبت المرأة تخبر أهلها، تولد في قلوب أهلها الغيظ على الرجل، فالرجل يتصالح مع المرأة وأبوها لازال غضبان، يمكث سنة أو سنتين وهو غضبان وهم قد تصالحوا في نفس اليوم، فلا تخبر المرأة أهلها بما يحصل من خلاف بينها وبين زوجها؛ لأنه لا يتوقع في الغالب إلا تصعيد الخلاف، وأحياناً يكون هناك شواذ لهذه القاعدة، وقد يكون الأب صالحاً، والأم صالحة، ويرى الزوج أن زوجته فيها نوعٌ من الانحراف في التعامل فيذهب إلى أمها أو إلى أبيها لكن بشرط أن يكون قد عرف أن هذا الأب صالح وهذه الأم عاقلة وصالحة وتخاف الله وتحرص على هذه الأسرة فلا مانع من أن

يستعين بتوجيههما وأن يعرض المشكلة عليهما، أما إذا عرف أنهما من الطراز الأول فلا يجوز؛ لأن هذا يؤدي إلى زيادة المشاكل.

كذلك بعض النساء تكشف مشاكلها لجارتها، فتملي عليها الجارة رأياً غير شرعي، فتفسد حياتها.

فعليك ألا تعلمي أحداً، حاولي أن تحلي المشكلة أنت بنفسك، ابحثي عن سبب المشكلة واقضي عليه، وبالتالي يزول الإشكال وتعود الحياة إلى وضعها الطبيعي، والمياه إلى مجاريها الطبيعية.

(٤) عدم النظر إلى المحاسن والتركيز على الأخطاء :

كذلك من الأسباب: عدم النظر إلى المحاسن، وتركيز النظر إلى الأخطاء فقط يفتح الرجل عينه على ما يحدث من خلل في المرأة، وهي تفتح عينها على ما يبدو من أخطاء أو سلبيات في الرجل، أما المحاسن فتهملها، وهو أيضاً يهملها، وبالتالي لا يرى إلا الشيء السيئ؛ فيتولد عن هذا كراهية للمرأة، وهذا مخالف للعدل، ومخالف للشرع .

قال تعالى : " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً " [النساء : ١٩]

التفسير : ولتكن مصاحبتكم لنسائكم مبنية على التكريم والمحبة، وأداء ما لهن من حقوق. فإن كرهتموهن لسبب من الأسباب الدنيوية فاصبروا؛ فعسى أن تكرهوا أمرًا من الأمور ويكون فيه خير كثير .

روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ»

يفرك : يبغض

هذا أمر بالتوازن والاعتدال في النظر، إذا نظرت إلى المرأة انظر إليها بميزان العدل، وإذا رأيت منها خلقاً سيئاً فانظر للخلق الطيب الذي فيها، فإنك إذا وضعت الحسنات بجوار السيئات ضاعت السيئات، أما إذا ألغيت الحسنات وضخمت السيئات ولم تر إلا السوء، وكذلك المرأة تنسى حسنات زوجها ولا ترى إلا السوء؛ استمر هذا السوء يكبر في نظرك، واستمر السوء يكبر في نظرها حتى يتولد منها البغضاء والكراهية والشحناء وبالتالي تسوء الحياة والعشرة الزوجية .

- جاء رجل يشكو امرأته إلى عمر بن الخطاب، فطرق الباب وإذا بزوجة عمر يعلو صوتها على عمر، وعمر أمير المؤمنين، الرجل القوي الذي كان الشيطان يهابه، يمشي في طريق آخر إذا مشى عمر في طريق ، والرجل قد جاء يريد أن يشتكي زوجته؛ لأنها كانت بذيئة اللسان ، وفتح الباب عمر وإذا بالرجل قد ولى، فدعاه وقال: تعال ماذا بك؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال له: ما أتيت إلا لحاجة ، هات حاجتك .

قال: يا أمير المؤمنين! جئت أشكو زوجتي إليك من بذاءة لسانها، فسمعت زوجتك تقول لك أكثر مما تقول زوجتي لي، فقلت: لي بأمير المؤمنين أسوة ، سأصبر عليها.

فقال له عمر رضي الله عنه: إنها طاهية طعامي، وغاسلة ثوبي، ومربية ولدي، وقاضية حاجتي .

أليست هذه حسنات للمرأة؟ من الذي يغسل ثوبك؟ من الذي يكنس بيتك؟ من يربي ولدك؟ من يقضي حاجاتك الجنسية والحياتية إلا زوجتك؟!

(٥) سوء الظن من قبل الزوجين وفقدان الثقة :

من الأسباب التي تؤدي إلى وقوع المشاكل الزوجية: سوء الظن من قبل الزوج؛ فيظن السوء دائماً بامرأته، أو من قبل الزوجة دائماً تسيء الظن، حتى تفقد الثقة ويفقد الثقة، وفقدان الثقة بين الزوجين من أعظم عوامل تدمير الأسرة، لا بد أن يعمل كل زوج وكل زوجة على أن يعمق الثقة في قلب الآخر حتى يكون أهلاً لها، لا ينبغي أن تخفي المرأة عن زوجها شيئاً، أو أن تعمل في غيبته شيئاً؛ لأن بناء الثقة يحتاج إلى سنين، لكنها تهدم في لحظة واحدة فقط، وإذا جرب الرجل على امرأته خللاً واحداً، وخيانة واحدة في مال أو عرض أو شيء هدمت الثقة وتبددت ، وكذلك المرأة إذا فقدت الثقة في زوجها لا تأمنه في حال من الأحوال.

فعلى كل من الزوج والزوجة أن يولد الثقة في قلب الآخر بالوضوح وعدم إخفاء أي شيء حتى يكون الظاهر والباطن سواء وبذلك يبتعدان عن سوء الظن؛ لأن الله تبارك وتعالي نهى عن سوء الظن فقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِّ إِثْمٌ" [الحجرات:١٢] قال عمر رضي الله عنه: " ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك شراً، وأنت تجد لها في الخير محملا "

الأصل في الزوجة وفي الزوج البراءة، والتعامل على حسن الظن حتى يقع خلاف الأصل، أما ابتداءً يسيء الظن بها أو تسئ الظن به فلا، وهذا مما يولد المشكلة بين الزوجة والزوج.

(٦) وساوس الشياطين :

وفي بيئة الأفلام والمسرحيات والأغاني الساقطة والموسيقي المحرمة تنمو وساوس الشياطين وتترعرع وتفعل الأفاعيل في بيوت المسلمين فما تتركها إلا وقد صارت خراباً .

روي مسلم عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ»

(٧) الغيرة المفرطة :قال الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله : توجد الغيرة في غالب النساء، غير أن منها ما هو مذموم، ومنها ما هو محمود: [فالمذموم منها تلك التي

تتأجَّجُ في صدر صاحبتها ناراً تُشعِلُ جيوش الظنون والشكوك كلُّ آن، فتحيلَ حياة الأسرة جحيمًا لا يطاق:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قالوا: (يا رسول الله، ألا تتزوج من نساء الأنصار؟ " قال: " إن فيهن لغيرةً شديدة " رواه النسائي في النكاح، وقال الأرناؤوط في " تحقيق جامع الأصول" (إسناده صحيح) .

- ولذلك لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سَلَمة رضي الله عنها، إلا بعد أن دعا أن يذهِبَ الله غيرتها، عن أمَ سلمة قالت: لّما توفيَ أبو سلمة، استرجعتُ، وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي، واخلفني خيرا منه، ثم رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما انقضت عِدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أدبغُ إهابًا لي، فغلست يدي من القَرَظِ (ما يُدبَغ به) وأذِنتُ له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته، قلت: يا رسول الله، ما بي أن لا تكون بك الرغبة فِي، ولكني امرأة في غَيْرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئًا يُعذِّبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السنُّ، وأنا ذات عيال، فقال: " أما ما ذكرتِ من غَيرتك فسوف يُذهبها الله عزَّ وجلَّ عنك (وفي رواية النسائي، فأدعو الله عز وجل فيُذهِبَ غيرتك) ، وأما ما ذكرتِ مِن السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرتِ من العيال فإنما عيالك عيالي ": قالت: فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزوجها، قالت أمّ سلمة: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسولَ الله صلى الله

عليه وسلم) رواه أحمد واللفظ له، والنسائي في النكاح، وقال الأرناؤوط في " جامع الأصول": (إسناده صحيح) .

الآثار والنتائج الخطيرة التي تترتب على الخلافات والمشاكل الزوجية

وهي كثيرة جداً، يمكن حصرها في بعض العناصر أو النقاط:

(١) العيشة التعيسة بين الزوجين :

العيشة التعيسة من قبل الزوج ومن قبل الزوجة، فإن الحياة الزوجية -كما ذكر الله عز وجل- سكن، والسكن ضد القلق، ولهذا سمي بيت الإنسان مسكناً، ليسكن ويرتاح فيه، لو أنزلته في أعظم فندق، فإنه لا يرتاح، ولكن أدخله في بيته فإنه يرتاح وينبسط، ولو كان بيته ليس في درجة الفندق أو القصر، وكذلك المرأة هي سكن الرجل، والرجل هو سكن المرأة، {لتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} [الروم:٢١] فإذا لم يجد الإنسان الراحة والطمأنينة في سكنه تحولت الحياة إلى عذاب، ولذا بعض الناس تجده إذا ذهب إلى البيت كأنه يذهب إلى قبر، لما يرى من المشاكل أمامه في البيت.

المرأة إذا كانت سيئة الخلق كلما دخلت عليها تجد الحياة أمامك كلها سيئة، وإذا كانت طيبة الخلق تجد الحياة كلها طيبة، فمن الآثار أن الخلافات الزوجية تحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، ولذا ترون الذي يعيش مع زوجة سيئة الخلق، أو تعيش الزوجة مع

زوج سيئ الخلق يكبر قبل أوانه، قد ترى عمره أربعين سنة، لكن إذا رأيته تقول: هذا عمره ستين سنة، شيَّبته قبل حينه، تجعل نهاره ليلاً، وليله ويلاً.

(٢) الآثار السلبية علي الأطفال :

أ- إحساس الطفل بعدم الأمان :

في الوقت الذي تكون فيه الحاجة للشعور بالأمن من أهم الحاجات النفسية التي ينبغي توفيرها للطفل نجد أن الخلافات الزوجية تتعارض مع إشباع هذه الحاجة فالطفل نتيجة للخلافات خصوصاً عندما يحتدم النقاش وتعلوا الأصوات سيخيل إليه أن هذا البيت سينهار وبالتالي سيفقد من يرعاه ويهتم به . ويزداد أثر ذلك عندما يعي الطفل التركيبة الاجتماعية للأسرة ، وضرورة وجود الأبوين لقيام الأسرة ، والذي يظهر بوضوح بعد سن السادسة .

إن تهديد الحاجة للأمن النفسي عند الطفل يدفعه إلي وسائل متنوعة للهروب من هذا الوضع هروباً فعلياً أو نفسياً . فقد يغطي الطفل وجهه أو أذنيه ، وقد ينسحب لغرفة أخرى بعيداً عن ذلك الشجار ، وقد ينخرط عندما تتكرر هذه الخلافات في سلوكيات تعويضية مثل : زيادة اللعب أو البقاء خارج المنزل كثيرًا أي عدم الرغبة في الدخول للمنزل والبقاء فيه .

هذه الآثار قد تمتد لسنوات فتؤثر على سلوك هذا الطفل حتى عندما يكبر ويصل للمراهقة . فهناك دراسات بينت أن بعض حالات الهروب من المنازل ، وبعض حالات

الرغبة في الزواج من أول خاطب بالنسبة للفتيات دون تروي قد يكون وارءها بيئة غير آمنة نفسيًا . فقد تنشد مثل هذه الفتاة الأمان في بيت آخر .

ب- تشويه صورة الأبوين أو أحدهما في عقل الطفل :

في الوقت الذي يحمل الطفل صورة ذات مكانة خاصة لوالديه فإن شجار والديه لاسيما عندما يتضمن سبا أو تحقيرًا لأحدهما فإن ذلك يؤذي الطفل ويشوه الصورة التي يحملها عنه مما قد يكون لها من الآثار السلبية الشيء الكثير .

ج- شعور بعض الأطفال بالذنب :

أظهرت بعض الدراسات أن نسبة من الأطفال يشعرون بالذنب وتأنيب الضمير عندما يحدث خلاف بين أبويهم ، ومع أنه من غير المؤكد سبب هذا الشعور فمن المعتقد أنه قد يكون عائدًا لكون كثير من الخلافات تدور حول تربية الأبناء أو بعض تصرفاتهم.

د - تكوين موقف عدائي لأحد الوالدين :

فمن خلال ما يسمع من جدال قد ينحاز الطفل لأسباب مختلفة لأحد الوالدين مما ينتج عنه عداء للآخر .

ه- ضعف المستوي الدراسي للأولاد :

وهذا نتيجة طبيعية للخلافات الزوجية ففي هذا الجو المشحون تري الولد شارد الذهن أثناء الدرس، الولد كثير الشغب ، الواجبات غير محلولة وتكون النتيجة الحتمية قصور

في الأداء التعليمي وبالتالي يفشل الولد في حياته الدراسية وفي حياته العملية، ويكون السبب أنت أيها الزوج وأنت أيتها الزوجة.

الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية الخلافات الزوجية

(١) رد الخلاف والتنازع إلي كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم .

قال تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "

[النساء : ٥٩]

التفسير : يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق، وأطيعوا ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلاً .

قال تعالي : " فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً " [النساء : ٦٥]

التفسير : أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقيادًا تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم .

(٢) تحصين النفس والبيت من الشيطان ومن شر الأشرار وكيد الفجار عن طريق الآتي :

١ - قراءة آية الكرسي :

روي ابن حبان عن ابْنُ أُبي بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ جَرِينٌ فِيهِ تَمْرٌ وَكَانَ مِمَّا يَتَعَاهَدُهُ فَيَجِدُهُ يَنْقُصُ فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ كَهَيْئَةِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ قَالَ: فسلَّمت فَرَدَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ جِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ فَقَالَ: جِنٌّ فَقُلْتُ: نَاوِلْنِي يَدَكَ فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُ كَلْبٍ فَقُلْتُ: هَكَذَا خُلِقَ الْجِنُّ فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّهُ مَا فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنِّي فَقُلْتُ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ قُلْتُ: فَمَا الَّذِي يَحْرِزُنَا مِنْكُمْ؟ فَقَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ قَالَ: فَتَرَكْتُهُ وَغَدَا أُبي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صدق الخبيث"

[تعليق الشيخ الألباني] : صحيح لغيره ـ ((الصحيحة)) (٣٢٤٥)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: اسْمُ ابْنِ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ هُوَ الطُّفَيْلُ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ

٢- قراءة سورة البقرة

روي مسلم والترمذي وأحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة "

٣- خاتمة سورة البقرة

روي الترمذي والنسائي والحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : " إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات و الأرض بألفي عام و هو عند العرش و إنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة و لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان"

٤- بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ :

روي أبو داود والترمذي وابن حبان وصححه الألباني عن أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، قال: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَعْنِي ابْنَ عَفَّانَ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهِّ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ» ، وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللهِّ مَا كَذَبْتُ

عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا»

الفَالِجُ : مرض يحدث في أحد شقي البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته .

٥- لا إله إلا الله وحده لا شريك له :

روي أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَانَ لَهُ عَدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرفع عَشْرُ دَرَجَاتٍ وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لهُ مثلُ ذَلِك حَتَّى يُصبحَ ". قَالَ حَمَّاد بن سَلمَة: فَرَأَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ إِنَّ أَبَا عَيَّاشٍ يُحَدِّثُ عَنْكَ بِكَذَا وَكَذَا قَالَ: «صَدَقَ أَبُو عَيَّاشٍ»

٦- الاستعاذة بالله من الشيطان

قال تعالى " وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِّ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " [الأعراف : ٢٠٠]

٧- قراءة المعوذتين (سورة الفلق وسورة الناس)

روي الترمذي وأبو داود والنسائي وحسنه الألباني عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه رضي الله عنه أنه قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليصلي بنا فأدركناه فقال : قل ، فلم أقل شيئا ، ثم قال : قل ، فلم أقل شيئا، ثم قال : قل

، قلت : يا رسول الله ، ما أقول ؟ قال : "(قل هو الله أحد) و (المعوذتين) حين تصبح وحين تمسي ثلاث مرات تكفيك من كل شيء "

٨- ذكر الله عند دخول البيت وقبل تناول الطعام والشراب

روي مسلم عن جابر بن عبد الله أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ "

٩- تطهير البيت من صوت إبليس (الغناء)

قال تعالى : " وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً " [الإسراء : ٦٤]

قال الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله : صوت الشيطان الغناء

روي ابن ماجه وابن حبان عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب

على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير "

قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : صحيح لغيره

روي البخاري تعليقاً ووصله أبو داود وغيره بسند صحيح وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩١) عن أَبُي عَامِرٍ أَوْ أَبُي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ عن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : " لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ "

المعازف : آلات الملاهي

- قوله: يستحلون فإنه واضح الدلالة على أن المذكورات الأربعة ليست حلالا شرعا ومنها المعازف وقد جاء في كتب اللغة ومنها المعجم الوسيط: استحل الشيء عده حلالا.

- قال العلامة الشيخ علي القاري في المرقاة ٥ / ١٠٦ :

"والمعنى: يعدون هذه الأشياء حلالات بإيراد شبهات وأدلة واهيات منها ما ذكره بعض علمائنا يعني الحنفية من أن الحرير إنما يحرم إذا كان ملتصقا بالجسد وأما إذا لبس من فوق الثياب فلا بأس به فهذا تقييد من غير دليل نقلي ولا عقلي ولإطلاق قوله صلى الله عليه وسلم:

"من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وكذلك لبعض العلماء تعلقات بالمعازف يطول بيانها وهذا الحديث مؤيد بقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} .

١٠ - تطهير البيت من التصاوير والتماثيل

روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ»

قال الشيخ وحيد بالي – حفظه الله – : " يجب علي المسلم أن يطهر بيته من التماثيل إلا ما ورد منه الاستثناء وهو لعب البنات. وكذلك التصاوير إلا ما كان لضرورة كصورة الجواز والبطاقة والأوراق الرسمية . وذلك لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا تمثال ، وكما ذكرنا آنفاً إذا خرجت الملائكة من البيت عششت فيه الشياطين .

روي مسلم عن عائشة ، أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ، أَوْ فَعُرِفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ، تَقْعُدُ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ " ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»

١١ - تطهير البيت من الكلاب

روي البخاري ومسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»

١٢ – صلاة أربع ركعات من أول النهار

رَوَي التِّرْمِذِيّ وصححه الألباني عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا ابْن آدم اركع لي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ: أَكْفِكَ آخِرَهُ ".

(٣) الوعي بأثر الخلاف وشدة وطأته على الطرفين : فلا شك أن اختلاف المرأة مع شخص تحبه وتقدره ، يسبب لها كثيراً من الإرباك والقلق والانزعاج ، وبخاصـة إذا كانت ذات طبيعة حساسة .

(٤) إن من الثوابت التي ينبغي أن يفهمها ويحرص عليها المسلم المحب لمجتمعه وأمته المسلمة هو مفهوم (الأمن الاجتماعي) ومن متطلباته الاجتماع والوئام ووحدة الكلمة، ومن متطلبات ذلك الكف عن إثارة الصراعات والنزاعات لتقوم الحياة على المودة والرحمة [وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً] (الروم: ٢١) ، وعلى التكامل والتداخل والتشاور والتناصح، وعلى الموالاة الإيمانية والتعاون على مكارم الأعمال .

قال تعالي : " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (التوبة: ٧١) .

(٥) تحقيق القوامة بمعناها الصحيح :

قال تعالي : " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ " [النساء : ٣٤]

والقوامة لا تعني البطش والتعالي وإنما تعني الرعاية والحفظ والتربية والرأفة والرحمة ووضع كل أمر في موضعه شدة ولياً ؛ ولهذا يقول الله عز وجل: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء:١٩] روي الترمذي وابن حبان وصححه الألباني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"

روي مسلم وأبو داود من حديث جابر مرفوعا: " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله "

(٦) التزام الرجل بحق زوجته عليه وهو كالآتي :

١- مراعاة شعورها

ينبغي أن تراعي شعور امرأتك ، إذا غضبت فتجاوز عنها، وإذا تكلمت فاستمع إليها ، بعض الرجال لا يريد أبداً أن يترك لها فرصة أن تعبر عن رأيها، وإنما يستذلها، ويمارس معها أعلى درجات السيطرة ، بحيث يقول: أنا الرجل لا تتكلمي، آخر كلمة لي وأول كلمة لي!! سبحان الله! كيف تصادر هذه الإنسانة؟ هذا ظلم، النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصنع هذا.

رَوَي البُخَارِيّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتُهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ.

ما رأيكم؟! لو أن هذا حدث مع واحد منا، ماذا سيحصل؟ سيقوم ويضربها حتى يكسر ظهرها، ثم يطلقها، ويطردها، ويقول: تعملين هكذا؟ وما دخلك؟ هذا بيتي وهذه امرأتي آكل هذا الطعام ولا آكل طعامك! لكن الرسول صلى الله عليه وسلم سكت، ثم اعتذر عنها - وهي عائشة رضي الله عنها- وقال: (غارت أمكم) ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ قدحاً لها في بيتها، وجمع الطعام، وأخذ الطعام ورد القدح . هكذا لم يجرح الرسول صلي الله عليه وسلم مشاعرها، فما الذي دفع عائشة رضي الله عنها إلي هذا الفعل ؟ لقد غارت، والغيرة أمر طبيعي في المرأة، ولا تتولد الغيرة إلا من الحب، والمرأة التي لا تغار على زوجها يعني أنها لا تريده، وتقول: الله لا يرده، لكن تلك التي تغار دليل على الحب والوفاء والإخلاص، فقدر لها هذا الأمر، أما إذا جاوزت الغيرة الحدود فإنها تكون مذمومة.

الخلاصة هي أن على الزوج مراعاة شعور امرأته في جميع الأحوال، إذا دخل عليها وهي غضبانة فلا يضحك ويفرح، وإذا وجدها مريضة فلا يذهب في رحلة، وإذا رآها في حالة نفسية سيئة فلا يذهب ليتمشى ويسهر إلى آخر الليل، بل يجب أن تعايشها وأن تعيش معها في ظروفها، وفي أزماتها، وفي ما يهمها ويراعي مشاعرها.

٢- عدم إفشاء سرها

أيضاً من حقوقها: ألا يفشي سرها؛ لأنه لباس لها، وإذا جلس مع الرجال وأفشى سرها، وذكر عيبها، وقد يكون في زوجته عيب، ولا أحد يعلم بعيب المرأة إلا أنت، لكن من الناس من لا يراعي هذا الجانب، ويقول: امرأتي فيها كذا، أو عملت فيها كذا -والعياذ بالله- من هتك الستر لعرضه ولعرضها فمن حقها عليه ألا يفشي سرها وألا يذكر عيبها.

روي مسلم عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»

٣- النفقة عليها بالمعروف

إن من حقوقها: النفقة لقد جعل الله عز وجل من مسئوليات الرجل الإنفاق فقال: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء:٣٤] فما دام أنك القوام عليها فعليك أن تدفع النفقة، وكيف يكون الإنفاق؟

على حسب قدرة الرجل، قال الله عز وجل: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} [الطلاق:٧] أي: ضيق عليه {فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا} [الطلاق:٧] .

والنفقة على المرأة أمرٌ نسبي يخضع لظروف معيشة المجتمع، ولظروف دخل الرجل، فكلما كان في دخلك زيادة فيجب أن توسع على أهلك ، ومن ضيق عليه ، فيجعل نفقته على قدر دخله وعلى قدر موارده، وعلى المرأة ألا تحمله ما لا يطيق، وألا تقيس به الآخرين، وتقول: لست مثل فلان ولا فلان ، فماذا يفعل هذا الرجل المسكين؟! هل يذهب ويسرق لكي يصبح مثل فلان ؟!

هذا لا يجوز في شريعة الله عز وجل، وإنما ينفق الرجل مما أتاه الله عز وجل.

٤- تعليمها أمور دينها

وهذا أمر -أيها الإخوة- يغفل عنه كثيرٌ من الأزواج، ويتعامل مع زوجته على أنها متعلمة مائة في المائة، حتى لو كانت تحمل أعلى شهادة فلا بد من تعليمها أمور الدين؛ لأن الله قال: {فَعِظُوهُنَّ} [النساء:٣٤] بحيث تجعل لزوجتك جلسة علم، وتبدأ أنت وإياها في كتاب من المختصرات، خصوصاً المتعلق بالمرأة والتعامل الزوجي، وتبدأ بحقها؛ لأنك إذا بدأت بحقوقك رأت فيك الأنانية، والرغبة في استغلالها عن طريق الناحية الدينية، بل قل: أول شيء نقرأ حقوقكِ أنت، لكي أعطيك حقك، ثم نقرأ حقوقي أنا، وهكذا.

والتعليم يقضي على كثير من المشاكل، وكم من معضلة وقعت في الأسر بسبب جهل المرأة بهذه المسألة، ولو كانت تدري ما وقعت، ولو كانت على علم بأمر الله فيها ما أوقعت نفسها ولا زوجها في هذه المشكلة، فمن حقها عليك أن تعلمها أمر دينها، وأن تعلمها ما يصلح حالها في الدنيا والآخرة.

٥- الرعاية والحماية

قال تعالى : {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} [البقرة:٢٢٨] ما هي الدرجة؟ هي القوامة، المسئولية، جعل الله القوامة للرجل لا لأنه أفضل؛ ولكن لأنه أكمل وأقدر، وإلا فقد تكون بعض النساء أفضل عند الله من زوجها بدينها وبتمسكها بطاعة ربها ، لكن الذي يستحق أن يكون قائماً هو الرجل، للميزات التي ميزه الله عز وجل ، من القوة والصلابة والشجاعة والقدرة والمواجهة، والمرأة ببنيتها الضعيفة لا تصلح لشئ من ذلك ، فدرجة القوامة مسئولية؛ لأن الحياة الزوجية في نظر الشرع شركة، ولا بد لكل شركة من مسئول ومدير، ومن المؤهل لأن يكون مديراً؟ الرجل؛ لأنه يحمي الأسرة ويدافع عنها، فلو كنت أنت وزوجتك في البيت ثم سمعتم صوتاً مدوياً ، فمن الذي يقوم ليرى؟ الزوج أم الزوجة؟ المرأة رأساً تذهب إلى أقصى غرفة، وتدعو زوجها وتقول: انظر ما الذي حدث؟، هناك شيء، لكن ما رأيكم لو ذهب هو وقال: اذهبي أنت وانظري، ستقول: أنت الرجل أم أنا؟ فالرجل له قوامة، وله قوة، ولذا كان هو المسئول .

٦- المعاشرة بالمعروف

العشرة بالمعروف؛ لأن الله أمر بهذا وقال: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء:١٩] لا يجوز لك -أيها المسلم- أن تعاشر هذه المرأة إلا بالمعروف، والمعروف: هو الذي يتفق مع مبادئ الشرع؛ من الكلمة الطيبة، والعبارة الطيبة، والبسمة الطيبة، والتعامل الطيب، والبحث عن أفضل ما عندك لزوجتك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) والذي ليس فيه خيرٌ لأهله ليس فيه خيرٌ للناس؛ لأن من الناس من تجده صاحب ذوق وأخلاق وتعامل حسن، وتجده اجتماعياً وطيباً مع الناس، لكن إذا دخل بيته خلع كل هذه الأخلاق عند الباب، ودخل شرساً سيء الخلق، حتى إن بعضهم لا يسلم على امرأته، وبعضهم لا يتكلم مع امرأته، ولا يأكل معها، وهذا كله من سوء الخلق، ومن سوء العشرة .

٧- عدم السهر خارج المنزل وترك الزوجة وحدها

أيضاً من حقها عليه: ألا يسهر خارج المنزل إلى ساعات متأخرة ويتركها في البيت وحدها، فإن المبيت جزء من الحقوق المترتبة على الزوجية، فإذا أخلَّ به الرجل وقطع معظم الليل مع زملائه، علي المقاهي يلعب الورق (الكوتشينة) والدومينو، ثم جاء آخر الليل وهي نائمة فقد أضاع حقها، وقد يترتب على ضياع هذا الحق أن تقع المرأة في جريمة، إذا لم يكن عندها دين ولا خوف من الله، قد يحملها تصرف الرجل بالسهر مع

زملائه أن تبحث هي عمن تسهر معه، وبالتالي يضيع عرض الرجل، وتدمر الأسرة بالكامل والعياذ بالله!

٨- عدم الأخذ من مالها إلا بإذنها

فلا يجوز للزوج أن يطمع في مال زوجته وراتبها ويأخذه قسراً عنها ولا ينبغي لها أن تكون أنانية إلى الدرجة التي لا تساهم في تكاليف الحياة مع زوجها، وهي تراه يتعب ويكد ويساهم، ويصرف كل دخله على الأسرة وهي جالسة، هي غير مكلفة شرعاً، لكن من الناحية الأدبية ينبغي أن يكون لها مشاركة حتى تدوم الحياة والألفة والسعادة على الأسرة عندما يكون هناك نوع من التضامن، والتعاون، والتكاتف على القيام بشئون الأسرة وإسعادها.

(٧) التزام المرأة بحق زوجها عليها وهو كالآتي :

١- الطاعة في المعروف

فطاعة الزوج مقدمة على كل أمر ما لم يتعارض مع أمر الله، حتى أمر الوالد وأمر الوالدة، فلو أمرها أبوها بأمر وأمرتها أمها بأمر، وزوجها قال: لا ، فلا تقدم أمر أحدٍ على أمر زوجها.

روي أحمد والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٧٢٥) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي

نفسي بيده لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسه ما أدت حقه» .

روي ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

" إذا صلت المرأة خمسها و صامت شهرها و حصنت فرجها و أطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت "

فطاعة الزوج ليست أمراً اختيارياً، ولا أمراً مزاجياً ، بمزاج المرأة تطيع أو لا تطيع، لا.

وقد تقول بعض النساء: لماذا أطيع؟ لأن الله أمركِ بهذا؛ قال تعالى: " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "

والطاعة تكون في المعروف فقط ، أما في المعصية فلا، فإذا قال لك: ارتدي البنطلون أمام الناس ، أو هيا بنا نشاهد المسلسل أو المسرحية ، أو نلعب طاولة ، فلا طاعة له، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

روي البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف» .

٢- حسن العشرة مع الزوج

كما هو مأمور بأن يحسن عشرتها أيضاً هي مأمورة بأن تحسن عشرته، وتبحث عن الأسباب التي تجلب له السعادة، وتهتم به، حتى يشعر بأن زوجته جديرة بأن تكون

شريكة الحياة؛ لأن الزواج -أيها الإخوة- مسئولية، بعض النساء تهتم بكل شيء إلا الزوج، تهتم بالطبخ، وتهتم بالغسيل، وتهتم بالكنس، وتهتم بالأطفال، والزوج آخر من تهتم به ، هذا خطأ، الزوج لا يريد نظافة الجدران، ولا رائحة الطعام، بل يريد أن يجد اهتماماً به شخصياً، اهتماماً بموعد نومه، واهتماماً بموعد أكله، واهتماماً بملابسه، واهتماماً بمشاعره، واهتماماً بكل شئونه، واهتماماً حتى بموعد دوائه إذا كان مريضاً .

ما رأيكم لو وجد الرجل هذا الاهتمام والرعاية من امرأته ؟ ماذا سيقول؟ سيقول: جزاها الله عني كل خير .

لما رجع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غار حراء يَرْجُفُ فُؤَادُهُ بعد أن جاءه جبريل عليه اللام أول مرة فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لخديجةَ وأخبرَها الخبرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: " كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وتقْرِي الضيفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها

والشاهد أن خديجة رضي الله عنها لم تقل للنبي صلي الله عليه وسلم : تستحق؛ لأنك تتركني وحدي الليالي الطوال، كنت أعلم أنه سيحدث لك مثل هذا نتيجة جلوسك في هذا المكان الموحش ، لكن ماذا قالت رضي الله عنها؟ قالت: (كلا والله لا يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) انظروا التأييد،

انظروا الدعم، هذه المرأة المثالية، ولهذا اختارها النبي صلى الله عليه وسلم وعمرها أربعون سنة، وعمره خمس وعشرون، ويتزوجها صلى الله عليه وسلم، وتبقى امرأته الوحيدة حتى ماتت ، ومتى ماتت؟ بعد خمس وعشرين سنة من زواجها، ماتت وعمرها خمس وستون سنة، وعمر الرسول صلى الله عليه وسلم خمسون سنة، استمرا في حياتهما الزوجية خمسة وعشرين عاماً، ، لم يتزوج عليها ، لماذا؟ لكبر عقلها، وعظمة نفسها، ولم تكن النواحي الجنسية والنزوات في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ذات أهمية، وإنما كان يغلب الجانب الإيماني .

٣- الاعتدال في الغيرة

وهذا أمر مهم للغاية ، خصوصاً إذا كان الرجل معدِّداً؛ لأن الغيرة دائماً تكون من بعض النساء على الزوج تجاه الأخرى، فتغار، لا نقول: تترك الغيرة؛ لأن تركها مستحيل، فهي فطرة، لكن هذبي الغيرة، ولا تتعمقي في التجسس ، وفي التدقيق وفي المراقبة بعض الأزواج إذا دخل عليها زوجها من عند شريكتها الثانية، أول شيء تعمل له مسح وتفتيش من رأسه إلى قدمه ماذا فيه من عطر؟ وهل غير ملابسه أو لا؟ وهل اغتسل أو لا؟ وكيف نام ومتى؟ سبحان الله! هذا لا يجوز، هذا كشف لعورة امرأة مسلمة أخرى، ثم أيضاً فيه إزعاج لكِ أنت، لا تسألي عن أشياء إن تبد لك تسؤك ، وإنما اتركي ذلك كله، تغارين في حدود تتعلق بك، أما أن تغاري وتتجاوزي الحدود إلى ما يتعلق بامرأة مثلك ، لها من الحق الشرعي مثلما لك؛ فهذا عدوان، وقد يترتب على هذا الطلاق.

وقد أوصى أحدهم ابنته فقال: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق .

٤- حماية عرضه وماله وأولاده

العرض أمانة ولا ينبغي لها أن تسمح بأن يدنس عرضه، أو أن يضيع شيء من ماله، أو أن يضيع أولاده، لماذا؟ لأنها مؤتمنة عليه .

روي الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٠٥٦) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق» .

روي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها "

٥- عدم الخروج إلا بإذنه

من الحقوق أيضاً: عدم الخروج إلا بإذنه لماذا؟ لأنه صاحب القرار، المدير العام للأسرة، الموظف الآن هل يستطيع أن يخرج من غير إذن المدير؟ لا.

وإذا خرج من غير إذنه ماذا يحدث؟ وسأل عنه المدير: أين كنت؟ قال: خرجت، قال المدير : لماذا لم تستأذن؟ قال : كنت علي عجلة من أمري ولم أجدك. حينها سوف يخصم من راتبه وقد يفصله من العمل ، كذلك المرأة إذا أتى الرجل من العمل وهي ليست في البيت، وقال لها: أين أنت؟ قالت: عند الجيران، سبحان الله! لماذا لم تستأذني؟ فلا تخرجي إلا بإذن ليعرف الرجل أين أنتِ، أما أن يأتي إلى البيت ولا يدري أين أنت، يترتب على هذا ضياع الأسرة، فلا يجوز أن تخرج المرأة من بيتها إلا بإذن زوجها.

٦- لا تمتنع منه متى أرادها إلا لعذر شرعي

فالمرأة يجب عليها أن تطيع زوجها كلما أرادها على ذلك، وإن لم يكن لديها ميل إليه، إلا لعذر شرعي من حيض أو نفاس أو مرض.

روي البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ساخطا عَلَيْهَا حَتَّى يرضى عَنْهَا»

روي النسائي والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٣٤) عن طلق بن على رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور ".

قوله: " وان كانت على التنور" معناه: فلتجب دعوته وإن كانت تخبز على التنور

روي أحمد وابن ماجه وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٩٥) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قَتَب ، لم تمنعه "

قتب أي: رَحْل

روي أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧١٩٢) عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا "

الدخيل: الضيف والنزيل، يعني: هو كالضيف عليك .

(٨) إفشاء السلام : وهو من أعظم أسباب نمو الحب بين الزوجين وأنا أدعوك أخي الكريم أن تلاحظ هذا الأمر بنفسك : قل لزوجتك السلام عليكم ، ليس عند دخولك البيت فقط ولكن قبل النوم وعند الاستيقاظ من النوم وعند خروجك من غرفتك وإذا رأيتها بعد أن غابت عنك في أي مكان من البيت .

روي مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» .

روي البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «إذا اصطحب رجلان مسلمان فحال بينهما شجر أو حجر أو مدر فليسلم أحدهما على الآخر ويتباذلوا السلام»

روي ابن حبان والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٠٨٧) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «أفشوا السلام تسلموا» .

روي الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣٢) عن هانئ بن يزيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «إن موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام» .

روي أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٦٥) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «يا أيها الناس! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» .

(٩) تفهم الأمر هل هو خلاف أم أنه سوء فهم فقط ، فالتعبير عن حقيقة مقصد كل واحد منهما وعما يضايقه بشكل واضح ومباشر يساعد على إزالة سوء الفهم ، فربما أنه لم يكن هناك خلاف حقيقي وإنما سوء في الفهم .

(١٠) الرجوع إلى النفس ومحاسبتها ومعرفة تقصيرها مع ربها الذي هو أعظم وأجل ، وبذلك تحتقر الخطأ الذي وقع عليك من صاحبك .

(١١) إن عرض صور المجتمعات الغربية فيما يحدث بين الأزواج والزوجات هناك من الصراعات كأنموذج لمجتمعنا المسلم المحافظ أمر مرفوض من قبل العقلاء الصالحين؛ لأن المجتمع هناك غالبه مبني على الخيانة والضياع والشقاق، وإليك بعض الإحصائيات مما تعانيه المرأة هناك؛ فمثلاً في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن أزواجهن، على مدار السنين الخمس عشرة الماضية، وأن ٧٩ ٪ من الأمريكيين يضربون زوجاتهم، و ٨٣٪ دخلن المستشفى سابقاً مرة واحدة على الأقل للعلاج من أثر الضرب، وإن مائة ألف ألمانية يضربهن الرجال سنوياً، ومليوني فرنسية يضربهن الرجال سنوياً. كل هذا في أرقى المجتمعات كما يُزعَم؛ فما بالك في المجتمعات الغربية الضعيفة والجاهلة؟ بعد هذا ؛ هل يعقل أن تقاس مجتمعاتنا المسلمة الواعية بتلك المجتمعات التائهة الضائعة؟

(١٢) إن أهم ما يطلب في المعالجة الصبر والتحمل ومعرفة الاختلاف في المدارك والعقول والتفاوت في الطباع مع ضرورة التسامح والتغاضي عن كثير من الأمور، ولا تكون المصلحة والخير دائما فيما يحب الرجل ويشتهي بل قد يكون الخير فيما لا يحب ولا يشتهي: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [سورة النساء:١٩].

(١٣) معرفة أنه لم ينزل بلاء إلا بذنب وأن من البلاء الخلاف مع من تحب ، وقد قال أحد السلف إني لأعرف معصيتي في خلق زوجتي ودابتي ؛ لذا يجب المبادرة بالتوبة إلي الله .

(١٤) تحجيم الخلاف وحصره من أن ينتشر بين الناس أو يخرج عن حدود أصحاب الشأن .

(١٥) تحديد موضع النزاع والتركيز عليه ، وعدم الخروج عنه بذكر أخطاء أو تجاوزات سابقة ، أو فتح ملفات قديمة ففي هذا توسيع لنطاق الخلاف .

(١٦) أن يتحدث كل واحد منهما عن المشكلة حسب فهمه لها ، ولا يجعل فهمه صواباً غير قابل للخطأ أو أنه حقيقة مسلمة لا تقبل الحوار ولا النقاش ، فإن هذا قاتل للحل في مهده .

(١٧) في بدء الحوار يحسن ذكر نقاط الاتفاق فذكر الحسنات والإيجابيات والفضائل عند النقاش مما يرقق القلب ويبعد الشيطان ويقرب وجهات النظر وييسر التنازل عن كثير مما في النفوس ؛ قال تعالى : " وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ " [البقرة : ٢٣٧]

(١٨) الاعتراف بالخطأ عند استبانته وعدم المكابرة فيه ، وأن يكون عند الجانبين من الشجاعة والثقة بالنفس ما يحمله على ذلك ، وينبغي للطرف الآخر شكر ذلك وثناؤه عليه لاعترافه بالخطأ فالاعتراف بالخطأ خير من التمادي في الباطل ، والاعتراف بالخطأ طريق الصواب ، فلا يستعمل هذا الاعتراف أداة ضغط بل يعتبر من الجوانب المشرقة

المضيئة في العلاقات الزوجية يوضع في سجل الحسنات والفضائل التي يجب ذكرها والتنويه بها .

(١٩) الصبر على الطبائع المتأصلة في المرأة مثل الغيرة كما قال صلى الله عليه وسلم (غارت أمكم) وليكن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في تقدير الظروف والأحوال ومعرفة طبائع النفوس وما لا يمكن التغلب عليه .

(٢٠) لا تبادر إلي حل الخلاف وقت الغضب ، وإنما تتريث فيه حتى تهدأ النفوس ، وتبرد الأعصاب ، فإن الحل في مثل هذه الحال كثيراً ما يكون متشنجاً بعيداً عن الصواب .

رَوَي الْبُخَارِيُّ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ»

وإليك أخي الكريم الدواء الشافي والكافي – بإذن الله تبارك وتعالي – للغضب من سنة حبيبك النبي محمد صلي الله عليه وسلم :

- فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا، لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ» .

- وَخَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٩٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ، فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ» . وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُعْنَى فِي هَذَا أَنَّ الْقَائِمَ مُتَهَيِّئٌ، لِلانْتِقَامِ، وَالْجَالِسُ دُونَهُ فِي ذَلِكَ، وَالْمُضْطَجِعُ أَبْعَدُ عَنْهُ، فَأَمَرَهُ بِالتَّبَاعُدِ عَنْ حَالَةِ الِانْتِقَامِ

- وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قُلْنَا: الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»

- وَخَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن

- وَخَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح

قَالَ الْحَسَنُ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ.

- وَروي أَحْمَدُ وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٩٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم أنه قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْكُتْ » . وَهَذَا أَيْضًا دَوَاءٌ عَظِيمٌ لِلْغَضَبِ، لِأَنَّ الْغَضْبَانَ يَصْدُرُ مِنْهُ فِي حَالِ غَضَبِهِ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ فِي حَالِ زَوَالِ غَضَبِهِ كَثِيرًا مِنَ السِّبَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَعْظُمُ ضَرَرُهُ، فَإِذَا سَكَتَ زَالَ هَذَا الشَّرُّ كُلُّهُ عَنْهُ .

(٢١) التنازل عن بعض الحقوق فإنه من الصعب جداً حل الخلاف إذا تشبث كل من الطرفين بجميع حقوقه .

(٢٢) التكيف مع جميع الظروف والأحوال ، فيجب أن يكون كل واحد من الزوجين هادئاً غير متهور ولا متعجل ، ولا متأفف ولا متضجر ، فالهدوء وعدم التعجل والتهور من أفضل طرق الرؤية الصحيحة والنظرة الصائبة للمشكلة .

(٢٣) يجب أن يعلم ويستيقن الزوجان بأن المال ليس سبباً للسعادة ، وليس النجاح في الدور والقصور والسير أمام الخدم والحشم ، وإنما النجاح في الحياة الهادئة السليمة من القلق البعيدة عن الطمع .

(٢٤) البعد عن الكبر والتعالي بالنسب أو المال أو الجمال أو الثقافة ، فإن هذا من أكبر أسباب تكدير العلاقات بين الزوجين .

(٢٥) غض الطرف عن الهفوة والزلة والخطأ الغير مقصود .

(٢٦) البعد عن الأساليب التي قد يكسب الجولة فيها وينتصر أحد الطرفين على الآخر لكنها تعمق الخلاف و تجذره مثل : أساليب التهكم والسخرية ، أو الإنكار والرفض ، أو التشبث بالرأي ، أو السباب والشتائم .

- روى البخاري ومسام عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»

- روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره " .

- روى الترمذي فقال : حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الجَدَلِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ» [حكم الألباني] : صحيح

- روي الترمذي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ» [حكم الألباني] : صحيح

(٢٧) البعد عن الاختلاط : فكم جر الاختلاط من ويلات علي البيوت المسلمة وكم هدم من البيوت الآمنة المستقرة .

(٢٨) تأسيس البيت علي التقوى باتباع أوامر الله والكف عن نواهيه من أول يوم ، فلا مكان في البيت المسلم للأغاني والمسرحيات والأفلام والمسلسلات .

(٢٩) إذا خافت الزوجة الجفوة والإعراض من زوجها فإن الله تبارك وتعالي يرشد إلى العلاج بقوله: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } [سورة النساء، الآية: ١٢٨]، العلاج بالصلح وليس بالطلاق ولا بالخلع ، وقد يكون بالتنازل عن بعض الحقوق المالية أو الشخصية محافظة على عقدة النكاح.

{والصلح خير} : أي الصلح خير من الشقاق والجفوة والنشوز والطلاق

(٣٠) إذا ظهر من الزوجة النشوز والنفور والإعراض والتقصير في حق الزوج ، فعلاج هذا في الإسلام صريح ليس فيه ذكر للطلاق لا بالتصريح ولا بالتلميح :

قال تعالي في محكم التنزيل: " وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً " [النساء: ٣٤]

وقال تعالي : " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً " [النساء :٣٥]

ومن خلال الآيتين الكريمتين يتبين لنا الأساليب التي شرعها الله تبارك وتعالي لتقويم نشوز الزوجة وهي كالآتي :

(أ) الوعظ: وهو كلام رقيق يصيب القلب والوعظ نافع للزوجة إذا جاء في الوقت المناسب بالقدر المناسب، وأما أن يجعل الرجل من نفسه خطيباً بالليل والنهار فذاك فساد وإفساد فالوعظ في التربية كالسم في الدواء قليله يفيد وكثيره يقتل الشعور والإحساس.

(ب) الهجران في المضاجع: وهو ترك فراش الزوجة وقت النوم فقط وهو نافع إذا لم تفلح الوسيلة السابقة.

(ج) الضرب غير المبرح الذي لا يكسر عظماً ولا يجرح جلداً و يتقي صاحبه به الوجه وفي تحريم ضرب الوجه أحاديث كثيرة مشهورة: والمقصود به إيقاظ شعور امرأة بليدة الطبع لم تستفد شيئاً بالوسيلتين الآنفتين وهي وسيلة لا يلجأ إليها الأخيار عادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما اشتكى إليه بعض النساء من ضرب أزواجهم لهم ، وعظ الرجال وقال: [إنه قد طاف بآل محمد نساء يشتكين أزواجهن..] ثم قال: [وليس أولئك بخياركم] أي من يضرب زوجته.

(د) الاستعانة بالمصلحين من أقارب الزوج والزوجة. وهذا آخر المطاف إذا عجز الرجل عن التقويم فعليه أن يستعين بحكم من أهله وحكم من أهل زوجته فيكونا أقدر على تفهم مشاكلهما لأن صاحب المشكلة كثيراً ما يعمى عن حلها.

(٣١) الوسيلة الأخيرة في معالجة الاختلاف :

عندما تفشل جميع الوسائل في علاج الاختلاف، ويصبح الإبقاء على رباط الزوجية شاقاً وعسيراً بحيث لا تحقق معه الأهداف والحكم الجليلة التي أرادها الله- تعالى- فمن سماحة التشريع وتمام أحكامه أن جعل مخرجا من هذه الضائقة، غير أن كثيراً من المسلمين يجهلون طلاق السنة الذي أباحته الشريعة، وصاروا يتلفظون بالطلاق من غير مراعاة لحدود الله وشرعه.

إن الطلاق في الحيض محرم وطلاق الثلاث محرم والطلاق في الطهر الذي حصل فيه وطء محرم، فكل هذه الأنواع طلاق بدعي محرم يأثم صاحبه ولكنه يقع طلاقا في أصح أقوال أهل العلم.

أما طلاق السنة الذي يجب أن يفقهه المسلمون فهو الطلاق طلقة واحدة في طهر لم يحصل فيه وطء أو الطلاق أثناء الحمل.

إن الطلاق على هذه الصفة علاج حيث تحصل فترات يكون فيها التريث والمراجعة.

المطلق على هذه الصفة يحتاج إلى فترة ينتظر فيها مجيء الطهر، ومن يدري فقد تتغير النفوس وتستيقظ القلوب ويحدث الله من أمره ما شاء.

وفترة العدة- سواء كانت عدة بالحيض أو الأشهر أو وضع الحمل- فرصة للمعاودة والمحاسبة قد يوصل معها ما انقطع من حبل المودة ورباط الزوجية.

ومما يجهله المسلمون: أن المرأة إذا طلقت طلاقاً رجعيا فعليها أن تبقى في بيت الزوج لا

تخرج ولا تخرج ، بل إن الله جعله بيتا لها { لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ } تأكيدا لحقهن في الإقامة، فإقامتها في بيت زوجها سبيل لمراجعتها، وفتح أمل في استثارة عواطف المودة وتذكير بالحياة المشتركة، فالزوجة في هذه الحالة تبدو بعيدة في حكم الطلاق لكنها قريبة من مرأى العين.

وهل يراد بهذا إلا تهدئة العاصفة وتحريك الضمائر، ومراجعة المواقف والتأني في دراسة أحوال البيت والأطفال وشئون الأسرة .

قال تعالي : "لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا " [سورة الطلاق، الآية: ١].

فاتقوا الله أيها المسلمون وحافظوا على بيوتكم، وتعرفوا على أحكام دينكم، وأقيموا حدود الله ولا تتجاوزوها، وأصلحوا ذات بينكم.

اللهم ارزقنا الفقه في الدين والبصيرة قي الشريعة وانفعنا- اللهم- بهدي كتابك وارزقنا السير على سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالي في منظومته في السير إلي الله والدار الآخرة:

سعدَ الذينَ تجنبوا سبلَ الردي ... وتيمموا منازلِ الرضوانِ

فهم الذين أخلصوا في مشيهم ... متشرعينَ بشرعةِ الإيمانِ

وهم الذين بنوا منازلَ سيرِهِم ... بين الرجا والخوفِ للديانِ

وهم الذين ملا الإلهُ قلوبَهُم ... بودادِهِ ومحبةِ الرحمانِ

وهم الذين أكثروا من ذكرِهِ ... في السرِ والإعلانِ والأحيانِ

ينقربونَ إلي المليكِ بفعلِهم ... طاعاتِهِ والترك للعصيانِ

فعلُ الفرائضِ والنوافلِ دأبُهُم ... مع رؤيةِ التقصيرِ والنقصانِ

صبرُوا النفوسَ علي المكارهِ كلها ... شوقًا إلي ما فيهِ من إحسانِ

نزلوا بمنزلةِ الرضي فهُم بها ... قد أصبحوا في جنةٍ وأمانِ

شكروا الذي أولي الخلائقَ فضلهُ ... بالقلبِ والأقوالِ والأركانِ

صحبوا التوكلَ في جميعِ أمورِهِم ... مع بذلِ جهدٍ في رضي الرحمانِ

عبدوا الإلهَ علي اعتقادِ حضورِهِ ... فتبوءوا في منزلِ الإحسانِ

نصحوا الخليقة في رضي محبوبهم ... بالعلمِ والإرشادِ والإحسانِ

صحبوا الخلائقَ بالجسومِ وإنما ... أرواحُهُم في منزلٍ فوقاني

عزفوا القلوبَ عن الشواغلِ كلها ... قد فرغوها من سوي الرحمانِ

حركاتُهُم وهمومُهُم وعزومُهُم ... للهِ ، لا للخلقِ والشيطانِ

نعمَ الرفيقُ لطالبِ السبلِ التي ... تفضي إلي الخيراتِ والإحسانِ

المراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: التفسير:

١. صحيح تفسير ابن كثير: الشيخ/ مصطفي العدوي

٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

٣. التفسير الميسر : إعداد نخبة من العلماء تحت إشراف الشيخ / صالح آل الشيخ

ثالثًا: كتب العقيدة والفرق :

١. فقه أشراط الساعة : د/ محمد بن إسماعيل المقدم

٢. بارقة الأمل في شروط قبول العمل : د/ هيثم بن محمد بن حمدان

٣. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : الشيخ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

٤. الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د/ عمر بن سليمان الأشقر

رابعًا: كتب الحديث وعلومه :

١. صحيح البخاري : الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري ، شرح وتعليق دكتور/ مصطفي البغا

٢. صحيح مسلم : الإمام/ مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي

٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته: الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني

٤. مصابيح التنوير علي صحيح الجامع الصغير: الشيخ/ أبو أحمد معتز أحمد عبد الفتاح

٥. سنن الترمذي: الإمام / محمد بن عيسى بن سوره الترمذي

٦. سنن أبي داود: الإمام / سليمان بن الأشعث السجستاني

٧. سنن ابن ماجه: الإمام/ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني

٨. سنن النسائي: الإمام / أحمد بن شعيب بن علي النسائي

٩. تيسير مصطلح الحديث : د/ محمود الطحان

١٠. شرح علل الحديث مع أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث : الشيخ/ مصطفي العدوي

١١. الخلاصة في علم الجرح والتعديل : الشيخ/ علي بن نايف الشحود

خامسًا: كتب الفقه وأصوله:

١. روضة المتنزه شرح بداية المتفقه : الشيخ/ أيمن بن علي موسي

٢. الأحكام المترتبة علي الفسق في الفقه الإسلامي : الشيخ/ فوفانا آدم

٣. القرائن ودورها في الإثبات في الشريعة الإسلامية : د/ صالح السدلان

٤. حكم مصافحة النساء والرد علي شبه المخالفين : الشيخ/ عمرو بن عبد الوهاب

٥. المرأة بين الفقه والقانون : د/ مصطفي السباعي

٦. تيسير علم أصول الفقه : الشيخ/ عبد الله بن يوسف الجديع

٧. توفيق الرحمن في اتباع النبي العدنان ﷺ أو إيضاح المحجة للقائلين بأن الترك من النبي ﷺ ليس بحجة : د/ هيثم بن محمد بن حمدان

سادسًا: كتب السير والتاريخ:

١. صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي : د/ علي الصلابي

٢. قصة الأندلس من الفتح إلي السقوط : د/ راغب السرجاني

سابعًا: كتب الرقائق :

منظومة في السير إلي الله والدار الآخرة : الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي

ثامنًا: كتب عامة :

١. الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الشائعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي : د/ عبد الفتاح الهمص & د/ فايز شلدان

٢. نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار : الشيخ/ أحمد الصويان

٣. عودة الحجاب : د/ محمد بن إسماعيل المقدم

٤. الاختلاط بين الجنسين في الميزان : د/ خالد السبت

٥. أكثر من ستين دليلاً علي تحريم الاختلاط : إعداد موقع/ شبهات وبيان

٦. موسوعة الأسرة المسلمة : الشيخ/ علي بن نايف الشحود

٧. فتنة النساء : د/ علاء بكر

٨. ياأيها النساء ادخلوا مساكنكم : الشيخ/ أبو ذر القلاموني

٩. خطورة الاختلاط : الشيخ/ ندا أبو أحمد

١٠. محاضرات مفرغة : الشيخ/ سعيد بن مسفر

١١. تحصين البيت من الشيطان : الشيخ/ وحيد بن عبد السلام بالي

١٢. الغلو مفهومه وحقيقته وصوره وأسبابه وعلاجه : جمع وإعداد الشيخ/ عبد الله الغليفي

١٣. كيف ندعو إلي الله : د/ محمد العريفي

تاسعًا: مقالات علي الشبكة العنكبوتية :

١. لا تتسرع في الحكم علي الناس : د/ بدر عبد الحميد هميسة

٢. ١٦ وسيلة عملية لحل الخلافات الزوجية : موقع صيد الفوائد

٣. بين الالتزام والتشدد : أ/ المهند السبيعي

٤. ظاهرة ضعف الإيمان وأسبابها : محاضرة مفرغة للشيخ / محمد صالح المنجد على موقع إسلام ويب

٥. من الذي لا يحترم التخصص : مقال للشيخ/ عبد اللطيف الثبيتي على موقع الألوكة

٦. أثر الغزو الفكري في العالم الإسلامي : مقال للأستاذة/ أم الوفا على منتدى طلاب جامعة الإمام الأوزاعي

عاشرًا: المجلات :

مجلة البيان – عدد ذي الحجة ١٤٢٤ – يناير/ فبراير ٢٠٠٤

الحادي عشر: الموسوعة الشاملة

الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**

تقديم فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي ٣

مقدمة..... ٤

الفصل الأول : قضية التعامل مع النصوص الشرعية..... ١١

مظاهر الإعراض عن الكتاب والسنة في الأمة الإسلامية..... ١٦

الضوابط الشرعية للتعامل مع النصوص الشرعية..... ٣٨

الفصل الثاني : قضية اعتقاد بعض الناس أن التمسك بالسنة من قبيل التشدد ٦٢

تعريف التشدد..... ٦٣

مظاهر التشدد في الدين..... ٦٣

أسباب التشدد..... ٦٤

بعض صور التباس مفهوم التشدد عند الناس..... ٦٦

الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية اعتقاد بعض الناس أن التمسك بالسنة من قبيل التشدد ٧٠

الفصل الثالث : قضية التعامل مع الشائعات ٩٥

تعريف الشائعة.....٩٦
تاريخ الشائعات.....٩٧
أسباب انتشار الشائعات.....١٠٠
الآثار السيئة للشائعات على المجتمع الإسلامي.....١٠٣
الضوابط الشرعية للتعامل مع الشائعات.....١٠٦
الفصل الرابع : قضية الاختلاط.....١٢٣
تعريف الاختلاط.....١٢٣
حكم الاختلاط.....١٢٣
مظاهر الاختلاط المحرم في الأمة الإسلامية.....١٢٧
الآثار المدمرة للاختلاط.....١٢٨
الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية الاختلاط.....١٣٦
شروط الحجاب الشرعي.....١٣٨
الفصل الخامس : قضية الخلافات الزوجية.....١٥٣
أسباب المشاكل الزوجية.....١٥٤
النتائج الخطيرة التي تترتب على الخلافات والمشاكل الزوجية.....١٦٣
الضوابط الشرعية للتعامل مع قضية الخلافات الزوجية.....١٦٦
تحصين النفس والبيت من الشيطان.....١٦٧

حق الزوجة على زوجها.....١٧٤
حق الزوج على زوجته.....١٨٠
علاج الغضب..... ١٩٠
الخاتمة.....١٩٨
المراجع.....١٩٩
الفهرس.....٢٠٣